

الملك العربي والبحر الأحمر

ملوك هرمز ومقنطرات

ترجمه إلى الإنجليزية : ويليام إف . سنكلويد

(متقاعد من ديوان موظفي الحكومة في بومبي)

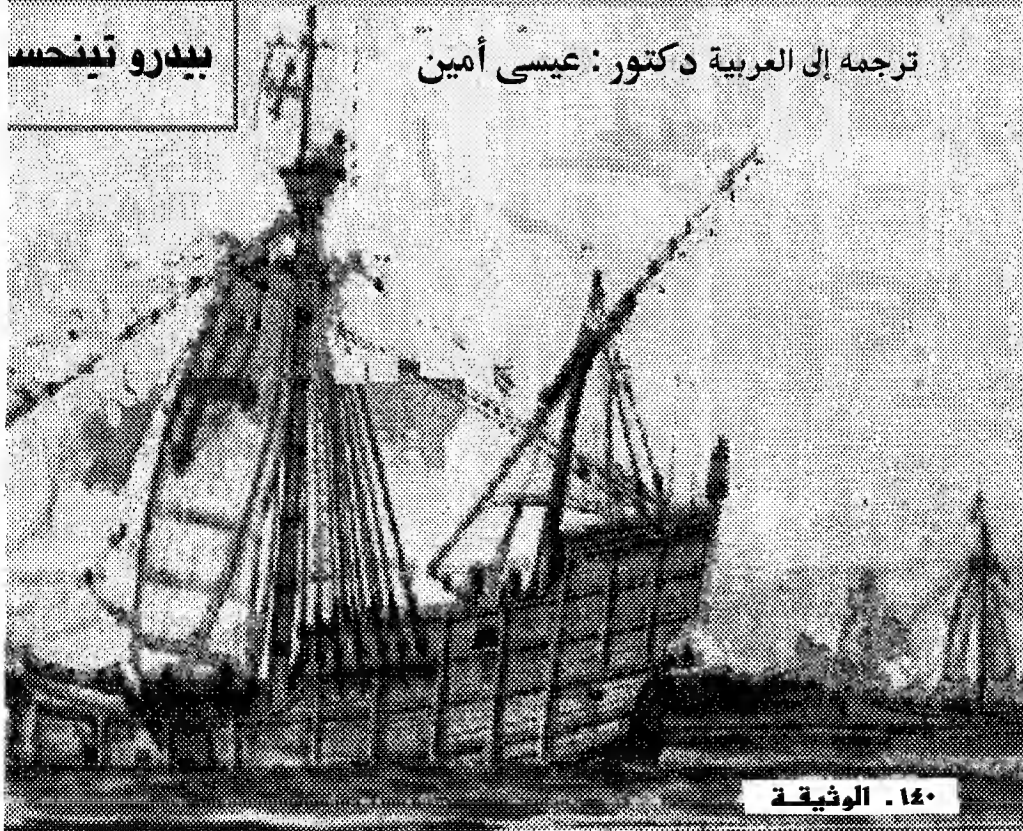
مقدمة وحاشية بقلم : دونالد فيركسيوسوف

ترجمه إلى العربية دكتور : عيسى أمين

مقدمة

الفصل الأول

بيدرو تينحس



١٤٠ . الوثيقة

في أسفار بيدرو تينحسيرا

من كتاب ملوك فارس

حياً في معرفة تاريخ الخليج ، ورغبة في دراسة أصول
التدخل الأجنبي وأسبابه ، أقدم هذه الترجمة لكتاب
نادر وآمل أن ينال إعجاب قراء العربية . د. عيسى أمين

نحن لا نعلم الكثير عن بيدرو تينحسيرا بقدر ما يذكره هو عن نفسه في كتابه . ولقد جاء ذكره في مقدمة الدكتور إم. كايسر لينج (Dr. M. Kayserling) لكتاب آي. جي. بنجامين (I. J. Benjamin) [ثماني سنوات في آسيا وأفريقيا] طبعة هانوفر ١٨٦٣م قائلاً " أن بيدرو تينحسيرا يهودي من البرتغال ومن اليهود الذين لم يجرؤوا بالإفصاح عن ديانتهم أو تعليم أبنائهم ديانة الآباء ، وزعم أنه ولد لعائلة يهودية في لشبونة ، إلا أن تعليمه لم يكن له صلة بالعقيدة ؛ ولذلك فإنه يبدو



لنا وكأنه لم يكن يحفل بالوازع الذي يفرض عليه التسليم الكامل للخالق (والمغروز فيه بالفطرة) الأمر الذي سوف نرى ملامحه في كل صفحة تقريباً من كتاب أسفاره . . . ورغم ذلك فنحن نعتقد ومن خلال ملخص أسفاره بأنه ولفترة طويلة سابقة لوصوله إلى (أنتورپ) كان بيدرو ملتزماً بالعقيدة المسيحية ، وأنه كان كاثوليكيًا ملتزماً - رغم وجود كتابات أخرى تنفي ذلك . ويبدو أن نصيبنا في معرفة أي شيء عن عائلته سوف يكون أقل من معرفتنا له شخصياً ، حيث أنه كان يفضل كتمان الأمر مع تصريح عابر بأنه كان عاشقاً للتاريخ في حداثة سنه .

(Decada Decima) تكاد تبين لنا هذه الأسباب حيث يقول : " لقد بُلِّغَ الملك أن بريطانیا تجهز أسطولها للتوجه إلى جهة غير معروفة حتى الآن - ولكن ، وخوفاً من اتجاه هذا الأسطول إلى الهند أو مناطق قريبة من ملقا (Malaka) ، فإنه - أي الملك - يود أن يرسل رسالة عاجلة إلى القبطان المسئول عن القلعة هناك بأخذ الحيلة ، وأن يبلغ نائب الملك في الهند عن الاستعداد لمساعدة الأول في وقت حاجته . لذا أصدر الملك أوامره إلى سفن الأسطول (الغلايين) وخاصة السفينة ريس ماغوس (Reys) (Magos) للاستعداد بالتوجه إلى ملقا . وتم تعيين القبطان جوا كاكودي أندرادي (Joao)

وبما أننا قد سلمنا منذ البداية بجهلنا لهذه الشخصية ، فإننا نستطيع أن نقول الآن أننا نجهل أيضاً مهنته ، أو حتى نشأته العملية في بداية حياته ، مع احتمال بسيط في أنه ربما كان طبيباً أو له صلة بالعقاقير النباتية وذلك لما يذكره هو عن التداوي بالأعشاب ومنافعها في كتابه أثناء رحلاته في الشرق .

ونظراً لعدم ذكره الأسباب الرئيسية لسفره إلى الشرق (الهند) ووصوله إليها عام ١٥٨٧م مع إحدى سفن الأسطول البرتغالي قادماً من البرتغال في عام ١٥٨٦م ، فإننا أصبحنا نعتقد أن رواية كوتو (Couto) في كتابه ديكادا ديسيما

(Gago de Andrade الرجل الذي سبق له زيارة الهند .

أبحر القبطان المذكور من البرتغال في ٥ يناير ١٥٨٦م وقد أمره الملك استيفاو دا فيجا (Estevao da Veiga) بتسليم رسالة إلى نائبة _ نائب الملك - د. دوارتي (D. Duarte) ورسالة أخرى إلى القبطان في قلعة موزمبيق ، والتي أخبره الملك فيها بإعداد السفن استيفاو دا فيجا وإرسالها إلى الهند للغاية المطلوبة . . . أما باقي سفن الأسطول فقد توجهت من البرتغال إلى الهند في مارس بقيادة القبطان دي جورينمو كوتينو (D. Jeronymo Coutinho) في السفينة القبطانة أنطونيو جوميـز (Antonio Gomes) كرنجه (Caranja) ومعه مانويل ديسوزا كوتينو (Manoel de sousa Coutinho) والذي قُـلـد الأوسمة لقيادته حامية ملقا ، ورحلته إلى اليابان ، وزواجه من ابنة رجل مسيحي ذي ثروة ، وترشيحه لمركز نائب الملك في

الهند ، والذي قتلوه بعد وفاة (دي دوارتي) .

أما السفن الأخرى فكانت السفينة سلفادور (Salvador) وقبطانها ميجويل دي ابـرو (Miguel de Abreu) والسفينة ريليكوياس (Religuias) وقبطانها فرانسكو كافالـيرو (Francisco Cavalleiro) والقديس فيليب (s. Filippe) وقبطانها جوا تريجيروس (Joao Trigueiros) . ولقد أخذت كل هذه السفن الحيطرة والحذر في إبحارها خوفاً من مواجهة مع الأسطول الإنجليزي . ولو فرضنا أن بيدرو تينحسيرا كان على ظهر إحدى هذه السفن فإنه يكون قد وصل إلى جوا في الهند سبتمبر ١٥٨٦ .

ولكن يبدو مرة أخرى أن تينحسيرا لم يهتم بوصف ما رآه في جوا مثل ما فعله قبله الهولندي جان هويجن (Jan Huyghen) الذي ترك لنا وصفاً مصوراً للمدينة التي سكنها لعدة سنوات قبل وصول تينحسيرا .

ولكن نستطيع من خلال قراءة التاريخ أن نجزم أن وصول تينحسيرا إلى جوا تزامن مع استعدادات بحرية أخرى من قبل البرتغاليين للانتقام من الأتراك وحكام سواحل شمال غرب أفريقيا الذين هزموا الأسطول البرتغالي (في البحر الأحمر في شهر مايو ١٥٨٧م تحت قيادة روي قونسالفس دا كامارا (Ruy Qon Salves da Cammara) وأسروا الكثير من بحارته .

انتهز تينحسيرا قرار نائب الملك بإرسال أسطول تأديبي للبحر الأحمر والخليج والتي كانت مسئوليته الأولى الإبحار إلى هوفر ، ومن ثم إلى مسقط لبناء قلعة فيها لردع الأسطول العثماني .

في ٩ يناير ١٥٨٧م وتحته قيادة القبطان مارتيم الفونسو ديميلو (Martim Alfonso di Mello) أبحرت اثنتان من الغلايين البرتغالية ، ترافقهما ست عشرة سفينة أخرى بجنودها وبيدرو تينحسيرا بعد حصوله على تصريح خاص لمرافقة الأسطول .

كان أول مكان يصل إليه الأسطول في الساحل الأفريقي أمبازا (Ampaza) وقتل ملكها ومساعدوه وأحرقت المدينة وبعدها توجه الأسطول إلى باتي (Pate) حيث طلب الحاكم فيها الرحمة والمغفرة من البرتغاليين ، ثم إلى جزيرة لامو (Lamo) حيث سبق للملك أن قام بتسليم روكو دي برتو (Roqe de Brito) ومرافقيه إلى الأسطول العثماني .

هرب ملك لامو قبل وصول الأسطول تاركاً زوجته التي قام البرتغاليون بتنصيبها ملكة على الجزيرة انتقاماً من زوجها . . . وواصل الأسطول إبحاره إلى مالندي ، وقام ملكها باستقبال البرتغاليين استقبلاً عظيماً ورافقهم إلى ممباسا .

دخل البحارة البرتغاليون ممباسا بعد استسلام ملكها وسقوط قلاعها وحصونها ، فأحرقوها بعد أن خرج منها ملكها ورعاياه طالباً من البرتغاليين الصفح عنه ومساعدته في عودته إلى ملكه . ورغم وساطة ملك مالندي لم يوافق مارتيم

في سبتمبر ١٥٨٧م غادر
الأسطول البرتغالي هـرمز
متوجهاً إلى (جوا) تحت قيادة
والد زوجة مارتيم ألفونسو ، سيماو
دي كوستا ليصل إلى جوا في أكتوبر
من نفس العام .

ورغم أن تينحسيرا كان مرافقاً
لهذا الأسطول منذ بداية الرحلة في
جوا فإننا نجد أن الوصف الوحيد
الذي تركه لنا هو عن مدينة مسقط
فقط أما المناطق الباقية فلم يذكرها
على الإطلاق .

لقد كان الوجود البرتغالي آنذاك
يمتد إلى بحر الصين ويتمتع بمراكز
عسكرية وتجارية مهمة أسست
لثلاث مهمات ، الأولى عسكرية
والثانية تجارية ، والثالثة - في
بعض المناطق فقط - إدارية ، تدير
أمور البلاد الواقعة فيها . ولقد
كانت ملقا أحد المراكز الاستراتيجية
المهمة في بحر الصين والتي دخلها
الملك راجال (Rajal) ملك جوهور
(Johor) ، ودمرها في بداية عام
١٥٨٧م ، بعد أن أغلق المسارات
المائية بين الهند والصين في مضيق
ملقا ، الأمر الذي أدى إلى المجاعة

ألفونسو على ذلك وغادرها هو
وأسطوله إلى الخليج ماعدا سفينة
واحدة أرسلت إلى نائب الملك في
الهند حاملة رأس ملك إمبازا
المشوه .

تزامنت مغادرة السفن
البرتغالية مع وصول السفينة
سلفادور والتي كانت قد أبحرت من
(كوشين) في الهند إلى أوروبا في
نهاية ١٥٨٦م ، محملة بالتوابل
وكانت قد صادفتها عاصفة في
الطريق ، قرر قبطانها - بعد الخلل
الذي أصاب سفينته - الالتحاق
بالأسطول البرتغالي في البحر الأحمر
وتم قطرها إلى هـرمز حيث تحطمت
بعد نقل البضائع إلى سفن أخرى .

ويذكر تينحسيرا لنا أنه في
زيارته لمسقط شاهد فيها الكم الهائل
من السمك وتعجب من طرق صيده
بواسطة البحارة العمانيين .

وصل الأسطول بعدها إلى هـرمز
ليواصل رحلته إلى جزيرة قشم ولكنه
يقفل عائداً لمرض القائد العام مارتيم
ألفونسو الذي توفي بعد عودته إلى
هـرمز ودفن فيها .

والتشرد ، بالإضافة إلى التدمير السابق .

في مارس ١٥٨٧م دعي نائب الملك إلى اجتماع المجلس الأعلى للإدارة في جوا ، وباسين ، وشول ، لمساعدة المدينة المنكوبة .

وفي ٢٨ أبريل ١٥٨٧م توجه الأسطول البرتغالي - المكون من ست عشرة قطعة من الغلايين والسفن الأخرى بكامل عتاده وجنوده الخمسمائة وتحت قيادة د. باولو دي ليما - ووصل إلى مدينة جوهور وأحرقها ودمرها تدميراً كاملاً .

لقد كان الأسطول البرتغالي موزعاً آنذاك بين هرمز ، وشرق أفريقيا ، وجوا . وتدعمه حاميات عسكرية يتحول بواسطتها إلى أسطول حربي في وقت الحاجة ، ويباشر مهمات التجارة في أغلب الأوقات . لقد باشر البرتغاليون سياسة الأرض المحروقة والقتل والتنكيل والاضطهاد أينما حلوا في الشرق ، ولقد طبقت هذه السياسة في هرمز ، ومسقط ، وعدن ، وشرق أفريقيا ، والبحرين ، وجوا ، وملقا ، وفي سيلان (كولبو) عندما

ثار عدوهم الأول كما يطلقون عليه (راجا سينها) ضد الوجود البرتغالي في سيلان . وكانت هذه الثورة من أخطر التهديدات التي واجهها البرتغاليون في الشرق ، حيث استلزم القضاء عليها مشاركة كل الأساطيل البرتغالية .

ويروي لنا المترجم عن هذا العصيان وبدايته في عام ١٥٨٦م عندما حاصر راجا قلعة كولبو ومنع عنها المؤن ، فاضطرت الحامية المتمركزة في هذه القلعة إلى طلب المساعدة من الهند . ونظراً لعدم وجود سفن الأسطول المطلوبة آنذاك ، تأخر وصول المدد البحري حتى سبتمبر ١٥٨٧م وذلك بعد إلحاح من قائد حامية كولبو (جو كوربا دي بريغو) . في ذلك الوقت ، قرر نائب الملك (دوم دوارتي) ومجلسه الحاكم في جوا ، إرسال أسطول ضخم إلى كولبو على أن يلتحق به أسطول (د. باولو دي ليما) والذي تم إبلاغه بالتوجه الفوري إلى سيلان . . . واختير لقيادة سفن الأسطول المشتركة القبطان (مانويل ديسوزا كوتينهو) والذي لقب بقبطان بحر الهند برتبة

وصلت المجموعة المطلوبة بقيادتها البرتغالية إلى الموقع المعين بعد أن دمرت كل القرى في طريقها وتم إبلاغ مانويل ديسوزا عن التحصينات الأهلية لمدينة كولبو وبلدة شيلاو .

بعد وصول هذه الأخبار ، قرر مانويل ديسوزا التوجه إلى بلدة شيلاو التي وصلها بعد أن سبقه دي جورينمو دي أوفيدو إليها وقام بتدميرها وسلبها ثم أحرقها . فتابع مانويل ديسوزا إبحاره إلى كولبو في ١٨ فبراير مطلقاً مدافع سفنه الحربية ابتهاجاً بالنصر ورفع الحصار عنها .

بعد دخول القوات البرتغالية إلى كولبو ولقائهما مع الجنود المحاصرين في قلعتها ، عقد مجلس الحرب اجتماعه الأول لتخطيط الأعمال الحربية المطلوبة ضد (راجا) . في هذا الاجتماع كان مانويل ديسوزا مصراً على الهجوم المباشر رغبة منه في الحصول على الثناء والشهرة قبل وصول أسطول (دي باولو دي ليما) .

(عميد) . ومع استعدادات جوا لإرسال أسطولها وصل أسطول هرمز والخاص بـ (ألفونسو دي ميلو) بقيادة (سيما دي كوستا) ورحالتنا (بيدرو تينحسيرا) ، والذي انتهز فرصة توجه (مانويل ديسوزا) إلى سيلان فالتحق به بعد حصوله على تصريح خاص بذلك .

في ٤ فبراير ١٥٨٨م توجهه الأسطول البرتغالي من جوا إلى سيلان وفي مقدمته الغلايين البرتغالية تحت قيادة (مانويل ديسوزا) و (دي جورينمو دي أوفيدو) ومعها ست عشرة سفينة أخرى وستمائة رجل ، ليصل إلى جزيرة (رامس فارام - Rames Varam) ومنها إلى جزيرة (منار - Manar) ثم في النهاية إلى (كاريتيفو - Karaitivu) .

وفي الموقع الأخير أرسلت الرسائل لقائد حامية كولبو تطلب منه إرسال ضابطين برتغاليين وجنوداً محليين إلى القبطان (مانويل ديسوزا) والذي كان قد قرر إحراق وتدمير المنطقة الواقعة بين (كاريتيفو) و (كولبو) .

انتَهز بيدرو تينحسيرا فترة
بقائه في كوشين ليقوم بزيارة قلاع
(كنارا و كانانور) .

في نهاية مارس وصل مانويل
ديسوزا إلى جوا ودخلها دخول
الأبطال حيث كان في استقباله نائب
الملك ومواطنو المدينة . بعدها بأيام
وصل دي باولو دي ليما وقام نائب
الملك ورعاياه باستقباله استقبالاَ
أعظم من سابقه . وفي ٤ مايو
١٥٨٨م توفى دي دوارتي دي
منزيس (نائب الملك) ودفن في
احتفال مهيب في كنيسة ريس
ماجوس ونقلت رفاته بعد ذلك إلى
أبرشية (الثالوث المقدس) في
سانتاريم .

وبعد وفاة نائب الملك فُضَّت
الوثيقة الخاصة بتولية السلطة والتي
ذكر فيها أن الحاكم القادم يجب أن
يكون ماتياس دي البوكيرك
(Mathias de Albuquerque)
على أن يحكم الهند إلى أن يصل
مانويل ديسوزا والذي عُيِّن حاكماً في
احتفال مشهود .

بعد عودة بيدرو تينحسيرا من
كوشن يبدو أنه بقي في جوا حتى

ومع انعقاد هذا المجلس أرسل
راجا سفراءه إلى القادة البرتغاليين
طالباً منهم مهلة زمنية ، حتى
يتمكن من القيام بالشعائر الدينية في
مدينته وعاصمته سيتا فاكسا
(Sitavaka) ، الأمر الذي جعلهم
يعتقدون أنه خدعة وتمهيدا
للانسحاب . لذا تقرر الهجوم
الفوري في ليلة ٢١ فبراير ، ودمرت
القوات البرتغالية تحصينات الملك
راجا ، وقتلت رجاله ، وأحرقت
قراه . في اليوم التالي وصل أسطول
دي باولو دي ليما إلى كولبو وشارك
في أعمال التدمير التي استمرت إلى
بداية مارس ١٥٨٨م عندما غادرت
الأساطيل كولبو عائدة إلى جوا .

ورغم الأحداث الجسيمة والتي
يتحاشى بيدرو تينحسيرا ذكرها ،
نجد أنه يذكر رحلة العودة إلى جوا
فقط وينقلها لنا كوتو عن الرحالة
تينحسيرا قائلاً : " عاد مانويل
ديسوزا في أسطول حضر إلى كوشين
وغادرها بعد أن ترك وراءه سفينة
كبيرة بقيادة دي جورينمو ومعه
سفينتان صغيرتان ، وذلك من أجل
لقاء سفن الأسطول العائدة من الصيد
وقيادتها إلى جوا .

عام ١٥٨٨ م ، ولكنه كعادته السابقة نراه قد وجد لنفسه حجة أخرى للسفر ثانية ، فقد تواردت أنباء عن نية القائد البحري التركي علي بك (والذي هاجم المواقع البرتغالية في شرق أفريقيا عام ١٥٨٦ م) في هجوم آخر يتم الاستعداد له ومتوقع حدوثه بنهاية ١٥٨٨ أو بداية ١٥٨٩ .

وكما توقعت السلطات البرتغالية في جوا ، توجه القائد البحري التركي علي بك إلى الصومال ، متوقفاً في مقديشو حيث استقبله الأهالي استقبالا رائعا ومنها اتجه جنوباً ، وكان أهالي المدن الساحلية يزودونه بالمال والمؤن ليصل إلى مالندي ليلاً حيث كان القائد البرتغالي فيها (ماتياس منديس دي فاسكونيلوس) على علم بتقدم الأسطول التركي - الذي كانت بعض سفنه قد صودرت في هجوم سابق على الساحل الأفريقي من البرتغاليين - وقد قام القائد البرتغالي بنصب بعض المدافع على التلال الرملية والتي أدى قصفها لسفن الأتراك إلى انسحابها وتوجه

علي بك إلى مومباسا لإقامة قلاع تحصينية فيها .

وفي ٣٠ يناير ١٥٨٩ م أبحرت سفن الأسطول البرتغالي من جوا متوجهة إلى شرق أفريقيا بعد وصول أنباء عن دخول الأسطول التركي في مياه شرق أفريقيا - وكما كان الاستعداد البرتغالي كبيراً للحملة المتوجهة إلى سيلان فإن الأسطول المتوجه إلى شرق أفريقيا وبقيادة أخي مارتيم ألفونسو (توما ديسوزا كوتينو) كان كبيراً أيضاً حيث اشتمل على عشرين سفينة بين كبيرة وصغيرة ، وتسعمائة من الرجال المسلحين .

واجه هذا الأسطول عواصف قوية أدت إلى فقدان ثلاث من سفنه . ومع وصول السفن الباقية إلى برافا (Brava) في ٢٠ فبراير ، نقلت إلى قائده أخبار علي بك فتوجه في ٢٣ من نفس الشهر إلى أمبازا ، وإلى قلعتها وأميرها الموالي للبرتغاليين ومنها إلى جزيرة لامو ، حيث تلقى أخباراً بمغادرة علي بك من مالندي إلى مومباسا .

في ٣ مارس وصل الأسطول البرتغالي إلى مالندي محاولاً اللحاق بالأسطول التركي ومنعه من الهرب من مومباسا ، وغادر مالندي يوم الأحد ٥ مارس متوجهاً إلى مومباسا ليواجه مقاومة بسيطة من الأسطول التركي .

في ٧ مارس دخل البرتغاليون مومباسا للمرة الثانية ومعهم ملك مالندي وأمير بمبا ليجدوا أن الأتراك قد توغلوا في الغابات .

لم يكن التخطيط التركي جيداً حيث حوصر علي بك وبجارته بين الأسطول البرتغالي بحراً وقبائل الزمبا من جهة اليابسة وفتكت القبائل المذكورة بالجيش التركي مما اضطر قائده وما تبقى من الجنود للتوجه إلى البحر ثانية لتلتقطهم السفن البرتغالية .

وفى ٢٢ مارس غادر توما ديسوزا مومباسا عائداً إلى مالندي يرافقه الجنود الأتراك وقائدهم علي بك والسفن التركية ، وقبل مغادرة البحر الأحمر قام هذا القائد البرتغالي باعتقال ملك لامو وقتله في باتي ، ونصب مرة أخرى ملك بمبا

بعد ثورة الأهالي عليه وأخذ وعداً من أمراء أمبارزا وملوك باتي وسيو بالولاء لأسيادهم البرتغاليين والتاج البرتغالي . وفي طريق عودته في ١٥ أبريل توقف في سوقطرة في ٢٨ من نفس الشهر للتزود بالماء ، ثم توجه إلى جوا حيث وصلها في ١٦ مايو ودخلها في استقبال مهيب يرافقه علي بك وبيدرو تينحسيرا .

في هذه المرة يبقى بيدرو تينحسيرا لمدة عامين ١٥٩٠ - ١٥٩١ في مدينة كوشين . ويذكر لنا أن وباء الموت الصيني انتشر فيها (الكوليرا الآسيوية) .

وفي ١٥ مايو ١٥٩١م وصل نائب الملك الجديد (ماتياس دي البوكيرك) على ظهر السفينة (بوم جيسوس) بعد سنة من مغادرته لشبونة . وقام (مانويل ديسوزا كوتينو) بتسليمه سيف القيادة .

وفي العاشر من يناير ١٥٩٢م أبحرت نفس السفينة التي جاءت بـ البوكيرك وعلى ظهرها الحاكم السابق مانويل ديسوزا وزوجته وكل متعلقاته النفيسة مع منقولات ثمينة أخرى - متجهة إلى البرتغال .

ولكن ، وفي طريقها إلى موزمبيق تحطمت واختفى كل من فيها وما كانت تحمله إلى الأبد .

ولوعدنا إلى مذكرات بيدرو تينحسيرا ، نجد أنه في عام ١٥٩٣م عاد من الهند إلى هرمز وبقي فيها حتى عام ١٥٩٧م باذلاً كل جهده في دراسة الفارسية وتاريخ فارس ، ومترجماً بصورة ملخصة روايات ميرخواند وتوران شاه . ومقديماً لنا صورة مفصلة من هرمز وأحداثها أيام إقامته فيها .

يذكر المؤلف أنه قام بزيارة مدينة مازاندران وشمال فارس في عام ١٥٩٧م . وفي نفس العام رافق الأسطول مرة أخرى إلى ملقا حيث طلب نائب الملك في الهند من الأساطيل البرتغالية التوجه مرة أخرى إلى هناك استعداداً لهجوم وشيك من البرتغاليين .

بعد وصوله إلى أرخبيل الملايو ، قضى بيدرو تينحسيرا جل وقته في رصد الحياة الفطرية وأنواع النباتات فيها . وانطلاقاً من هذا الفصل من رحلاته يبدأ الرحالة في إعطائنا صوراً متواصلة وكتابات

دقيقة عن تنقلاته ، ويذكر في أول فصل من (يوميات رحلتي) أنه في ملقا ، ويود العودة إلى البرتغال عن طريق جزر الفلبين ولذا انتهاز فرصة مغادرة السفينة المتوجهة من ملقا إلى الفلبين (حاملة الرسائل من قائد ملقا البرتغالي ، إلى القائد الأسباني في الفلبين يخبره فيها باحتمال دخول الأسطول الهولندي مياه المنطقة) يقول أنه انتهاز الفرصة وغادر ملقا إلى الفلبين على ظهر هذه السفينة التي وصلت به في ٢٢ يونيو إلى ميناء مانيلا .

لم يستقر المقام برحالتنا في الفلبين . فقد استطاع الحصول على تصريح من الحاكم الأسباني دوم فرانسيسكو تيلو دي منزيس (Dom Francisco Tello de Menzis) في ١٨ يوليو لمرافقة قافلة بحرية من أربع سفن جديدة متوجهة إلى أمريكا . وبعد قضاء فترة قصيرة في مضيق سان برناردينو ، توجهت السفن في اتجاه شمال شرقي لتصل إلى أكابولكو في أول ديسمبر ، ومنها يدخل بيدرو تينحسيرا على ظهر الخيول إلى مدينة المكسيك ، التي وصل إليها في منتصف ليلة عيد

الميلاد ، وذلك بعد ستة أشهر من مغادرته ملقا . وبعدها يغادر في مايو ١٦٠١ متوجهاً إلى البرتغال ماراً بـ سان جوان ، وكوبا ، وبرمودا ، وسان لوكار ، وفي النهاية يصل إلى لشبونة في ٨ أكتوبر ١٦٠١ .

قبل مغادرة بيدرو تينحسييرا ملقا ، أودع مبلغاً مالياً لدى أحد أصحابه طالباً منه إرساله له إلى لشبونة بواسطة السفن البرتغالية ولكن يخيب أمله ولا يصل المبلغ المذكور . لذا نجده ورغماً عنه يقرر السفر إلى الشرق مرة أخرى في ٢٨ مايو ١٦٠٣م على ظهر إحدى سفن الأسطول المتوجه إلى الهند بقيادة بيرو فيرتادو دي مندوكا (Pero Fertado de Mendoca) ويصل إلى جوا في ١٤ أكتوبر من نفس العام .

لقد نال في رحلته هذه ما أراد وقرر العودة بعد خمسة أشهر عن طريق وادي الرافدين .

في ٩ فبراير ١٦٠٤ ، استقل بيدرو تينحسييرا سفينة برتغالية متوجهة إلى الخليج ، فتوقف في اليوم الثاني من شهر مارس في

مصيرة ومن ثم حول رأس الحد إلى خليج عمان ويتوقف مرة أخرى في سيفاً وبعدها يتوجه إلى هوفر بعد التزود بالماء والخشب من مسقط . وبعد شهر من وصوله إلى هرمز (في ١٤ أبريل) يسافر بيدرو إلى البصرة في سفينة صغيرة تابعة لقبطان هرمز البرتغالي ماراً بالمضيق بين جزيرة قشم واليابسة ، ومن ثم إلى الساحل الشرقي للخليج متخذاً وجهته الشمال الغربي متوقفاً بين فترة وأخرى بسبب التيارات القوية .

كانت أول منطقة ترسو فيها السفينة جزيرة لار (الشيخ شعيب) لتصادف سفينة أخرى قد هوجمت بواسطة أهالي بندر نخيلو . بعد بضعة أيام تتوجه السفينة إلى شيوة وتضطر للعودة إلى هرمز بسبب الرياح العاتية في ٢١ مايو ١٦٠٤م . وفي محاولة ثانية غادر على نفس السفينة (والتي اتجه ربانها هذه المرة في مسار بحري جنوب جزيرة قشم) ، ونجحت هذه المحاولة حيث وصلت السفينة إلى جزيرة خرج في ٢٥ يوليو . وفي تلك الجزيرة يتسلم قيادة السفينة ربان محلي ويبحر بها إلى شط العرب

في كربلاء لعدم توفر الجمال لإتمام الرحلة . وبعد عدة أيام عبّرا نهر الفرات ووصلا بغداد في اليوم الرابع من أكتوبر حيث سكن تينحسيرا في منزل صديق من هامبورج كان قد تعرف عليه في الهند وكان هذا الصديق يحاول بفعله هذا رد بعض الجميل لبيدرو الذي كان بدوره قد أحسن ضيافته في الهند . وكان حصار حلب قائماً آنذاك ، لذا اضطر رحالتنا إلى البقاء في بغداد لعدة أشهر .

في ١٢ ديسمبر انتقل بيدرو تينحسيرا ، وصديقه الألاني ، ودييجو فرناندو ، ودييجو دي ميلو من بغداد عابرين الفرات مرة أخرى ليصل الجميع إلى مدينة انا ، ومنها في ١٣ يناير ١٦٠٥م يغادر الجميع إلى حلب على الجمال . وبعد مسيرة ثمانية عشر يوماً وصلت القافلة إلى قرية سكانه حيث يثير ديجو دي ميلو إشكالات جديدة بسبب حماقته . ومن قرية سكانه غادرت القافلة في ٩ فبراير في طريقها إلى حلب وتعرضت أثناء السير لقطاع الطرق الذين لم يتمكنوا من بيدرو وأصحابه . وفي ٥ فبراير وصل

ورغم بعض الصعوبات تصل إلى هناك في أول أغسطس من نفس العام . ويبدو أن السفينة بقيت في شط العرب خمسة أيام توجهت بعدها إلى مدينة سيراچ (Serrage) حيث نقلت حمولتها إلى البصرة .

انتقل بيدرو من سيراچ إلى البصرة عن طريق قناة مائية يرافقه تاجر فينيقي واثنان من البرتغاليين كانا معه من البداية في هرمز . وكان لهذا التاجر الفينيقي (السوري) منزل في البصرة قضى فيه بيدرو عدة أيام قبل التحاقه بالقافلة المتوجهة عبر الصحراء العربية يرافقه ديجو دي ميلو (Diego de Melo) بعد حصوله على ترخيص خاص بذلك . هذا الصديق الذي أصبح مصدر إزعاج لحالتنا أثناء رحلته . وكان طريق القافلة المذكورة يمر بمشهد الإمام علي ومن ثم مشهد الإمام الحسين (كربلاء) حيث تزوج فيها رئيس القافلة ودعا جميع مسافريه إلى حفل الزواج .

في ٢٩ سبتمبر توجه أغلب المسافرين من التجار إلى بغداد ، وبقي بيدرو ومرافقه ديجو دي ميلو

الجميع إلى حلب حيث قضى بيدرو
تينحسيرا شهرين في انتظار السفينة
التي سوف تقله من الإسكندرونة إلى
البندقية .

في الجزء الباقي من هذه
الرحلة ، التحق اثنان من التجار
الفينيقيين ببيدرو وصاحبه دي ميلو
متوجهين جميعاً إلى الإسكندرونة في
٥ أبريل .

وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصل
الجميع مرة أخرى إلى الإسكندرونة.
وبقوا في هذه المدينة الساحلية إلى أن
غادروها في الثاني عشر من أبريل
إلى البندقية على متن سفينة
فينيقية .

وبعد توقف في ساليناس في
قبرص وجزيرة زانتي وصلت
السفينة إلى استريا في التاسع من
يوليو ومنها انتقل بيدرو وصديقه في
سفينة أخرى تعرضت للعواصف
قبل وصولها إلى البندقية في الحادي
عشر من يوليو .

ويعلق بيدرو على خبرته في
هذه المدينة بأنه " من المستحيل

العمل في مكان مستحيل " . لذا
غادر بيدرو البندقية بعد زيارته
لأغلب المقاطعات الإيطالية إلى
مملكة برمونت وجبال الألب
وسافوي وفرنسا وهولندا الأسبانية
مستقراً في أنتورب .

ويعلق الدكتور كايسر لنج على
استقرار بيدرو في أنتورب : " لقد
كانت أنتورب أقدم مستعمرة
هولندية للمنفين من الأسبان /
البرتغاليين . وفيها استقر بيدرو
تينحسيرا ليبدأ طباعة كتابه
(أصول وسلالات ملوك هرمز)
ويكتب الأسفار من الهند إلى
إيطاليا . ونعتقد أنه توفي - هنا
وليس في فيرونا - في أواسط القرن
السابع عشر باقياً على يهوديته
منتقلاً مع آبائه إلى عالم آخر
أحسن من عالمنا " .

لا نستطيع تأكيد هذه المعلومات
المقدمة من الدكتور كايسر لنج ،
حيث لا توجد لها مصادر موثقة
حتى الآن .

قبل عودة دريك إلى بريطانيا كان جون نيوبري (John Newbery) قد توجه إلى طرابلس في سوريا (في ١٩ سبتمبر ١٥٨٠ م) ومنها إلى وادي الفرات ، ثم فارس ، وهرمز ، وعاد من فارس إلى أرمينيا والقسطنطينية وأوروبا ، ليصل في النهاية إلى لندن في أغسطس ١٥٨٢ م .

في بداية ١٥٨٣ توجه نيوبري مرة أخرى ومن نفس الطريق إلى طرابلس يرافقه هذه المرة رالف فيتش (Ralph Fitch) ووليام ليـدز (William Leedes) وجيمس ستوري (James Story) . وبعد مرورهم بنفس المناطق التي مر بها نيوبري ، وصل الإنجليز الأربعة إلى مملكة هرمز في ٥ سبتمبر ١٥٨٣ م .

أثار وصول الأربعة قائد هرمز ماتياس البوكيرك فأمر باعتقالهم اعتقاداً منه بأنهم جواسيس لدوم أنتونيو ، المطالب بعرش البرتغال آنذاك . وبعد فترة في سجون هرمز ، نُفي الجميع إلى جوا ، حيث بقوا في سجونها إلى أن استطاع الأب اليسوعي توماس ستيفنز (Thomas Stevens) إخراجهم بكفالة على أن يباشروا مهنة التجارة في جوا .

الفصل الثاني وصول الإنجليز والهولنديين إلى الشرق

كانت السنوات التي قضاها بيدرو تينحسيرا في رحلاته الشرقية (١٥٨٦ - ١٦٠٥ م) من أهم السنين في تاريخ البرتغاليين في الشرق . ففي عام ١٥٨٠ م نودي بالملك فيليب الثاني (ملك الأسبان) ملكاً على البرتغال أيضاً وبهذا دخلت البرتغال فيما أطلق عليه [ستون سنة من الحبس] والتي أدت إلى فقدان البرتغال لكل مواقع نفوذها في الشرق تقريباً .

هناك حدث آخر وعلى نفس المستوى من الأهمية طغى على تاريخ الأساطيل الأوروبية وهو عودة القائد البحري دريك (Drake) من جولة حول العالم ودخوله بريطانيا دخول الأبطال . وكانت نتائج جولة دريك مؤشراً لحروب دبلوماسية انتهت بصراع بحري مرير بين أسبانيا وبريطانيا .

في ٥ أبريل ١٥٨٥م هرب فيتش ، ونيوبري ، وليدز من المقاطعة البرتغالية ووصلوا بعد عدة أيام إلى بلاط (المغول الأعظم) أكبر في فتح بور سيكري .

في فتح بور قام ليدز بالعمل في بلاط أكبر ، وبدأ نيوبري رحلة العودة في ٢٨ سبتمبر ١٥٨٥ م من لاهور إلى القسطنطينية ، ومنها إلى لندن ، أما فيتش فقد عبر نهر الكانج إلى البنغال ، ثم إلى شيتاكونج وبيجو ، وفي النهاية إلى ملقا في ٨ فبراير ١٥٨٨ ، وينتقل مرة أخرى منها إلى بيجو والبنغال ، وكوشين وجوا ، وشول ، وهرمز والبصرة ، ثم إلى حلب عائداً إلى بريطانيا التي وصلها في ٢٩ أبريل ١٥٩١ م .

لقد ذكرنا رحلة فتش بشيء من التفصيل لسببين : الأول أنه كان في ترحال في الشرق في نفس الفترة الزمنية ، حتى أنهما كانا في جوا في نفس السنة ١٥٨٩ ، مع علمنا الكامل بأنهما لم يلتقيا فيها .

والسبب الثاني هو إصراره على زيارة المناطق التابعة للنفوذ البرتغالي مثل ملقا وجوا وهرمز وبقاؤه في الأخيرة خمسين يوماً قبل أن يتوجه إلى

البصرة . ولإعطاء السبب الثاني أهمية أكثر نجد أنه في ٢٥ فبراير ١٥٨٥م كتب ملك الأسبان من لشبونة إلى نائب الملك في الهند (دوارتي دي منزيس) قائلاً : " أخبرني نائب الملك (دي فرانسيسكو ماسكريناس) بأن قائد قلعة هرمز ماتياس البوكيرك أرسل له أربعة من السجناء الإنجليز الذين وصلوا إليها عن طريق البصرة وأثاروا الشكوك في أنهم مرسلون من قبل دوم أنتونيو ويحملون رسائل منه ، ولكنهم يدعون أنهم من التجار . لقد قام قائد قلعة هرمز بإيداعهم السجن إلى أن نقرر شأنهم ، إنني أعتمد عليك في معاقبتهم بما تراه مناسباً إذا ثبت جرمهم ، وذلك بعد استقصاء الحقائق بصورة خاصة على أن تتخذ الإجراءات اللازمة لمنع حدوث مثل هذا في المستقبل ، وعدم السماح لأمثالهم بالدخول إلى ممتلكاتنا وخاصة هرمز التي نعتبرها المنفذ الذي يمر فيه أمثالهم وسوف تخبرني بما قمت به " .

إن أهمية السبب الثاني تبدو لنا أكثر جاذبية الآن خاصة لو عرفنا أن هرب هؤلاء السجناء من السجون البرتغالية في جوا حدث بعد شهرين من وصول نائب الملك ، الذي كتب له الملك فيليب توجيهاته ، لذا نجد استياء

والذين اكتشفتم أنهم من التجار وقد توفى ثلاثة منهم وبقي الرابع في جوا وتزوج بها ومارس مهنة الرسم ، فإني أطلب منكم التأكد مرة أخرى عن القصد من زيارتهم " .

ويذكر الملك أسماء هؤلاء الإنجليز في آخر رسالة له بتاريخ ١٢ يناير ١٥٩١ مرسلة إلى نائبه يقول : " بالنسبة للإنجليز الثلاثة والذين هربوا إلى الهند واثنان منهم في عداد الموتى ، أود أن أخبركم بأن تطلبوا من الإنجليز الرابع ، والذي يمارس مهنة الرسم في جوا الآن ، مغادرة المناطق التابعة لي والعودة إلى بلاده في أول سفينة متجهة إلى هناك " .

إننا نذكر هذه الرسائل والأوامر الصادرة من الملك بشيء من الغرابة ، حيث أنه وبرغم إنذارات الملك إلى نوابه نجد أن فتش يقضي فترة في ملقا ١٥٨٨ ويعود إلى كوشين ١٥٨٩ م ويبقى فيها سبعة أشهر دون أن يتعرض له أحد من البرتغاليين ومن ثم وصوله إلى هرمز ومغادرته إلى لندن دون اعتقال أو تحقيق .

وربما يرتبط هذا كله بتصرفات شخصية أخرى ذات أهمية كبرى في

الملك من هذا الحادث واضحاً في رسالته إلى نائب الملك في لشبونة في ١٣ فبراير ١٥٨٧ م : " إنني مستاء جداً لهرب الإنجليز الذين أخبرني عنهم ماتياس البوكيرك ، وقام بإرسالهم من قلعة هرمز إلى سجون جوا في عهد فرانسيسكو ماسكاريناس ، والذين توفى اثنان منهم بعد هروبهم وبقي آخران في مناطق أخرى (أحد اللذين ما زالوا أحياء هو ستوري الذي بقي في جوا وعمل بالرسم ، والثاني هو ليدز ، أما الميطان منهم فالقصد هنا نيوبيري ولانعلم عنه شيئاً ، أما فتش فنحن نعلم أنه لم يمت) إنني أطلب منك البحث عنهم وإلقاء القبض عليهم وأن تؤمن وتشدد حمايتهم ، وأن تحقق في ملابسات هربهم ، وأن تجد الأشخاص المشتركين معهم وتخبرني بقرارك " .

بعد عامين من الرسالتين المذكورتين كتب الملك رسالة ثالثة إلى نائبه : " إن ما ذكرته لي عن توقعاتكم بوصول دوم أنتونيو حاكم كراتو السابق ، واحتمال وصوله طرفكم والاستعدادات التي قمت بها قبل حلول الشتاء لحماية مضيق مكا ، صار معلوماً . أما بخصوص الإنجليز الأربعة الذين توجهوا إلى الهند في عهد الكونت دوم فرانسيسكو ماسكاريناس

(Edward Bonaventure) إكمال
الرحلة تحت قيادة القبطان
جيمس لانكستر (James Lancaster).

إننا نعتقد بأن قرار الإنجليز
بإرسال أسطولهم إلى الشرق هو الذي
أثار موضوع كتابة الرسائل من ملك
الأسبان لنائبه في الهند في ٢٦ مارس
عام ١٥٩١م قائلاً : " لقد بلغت قبل
عدة أيام أن هناك استعداداً في إنجلترا
لإرسال السفن إلى جزيرة سانتا هيلانة
لانتظار السفن القادمة إليها ، لذا ننصح
السفن المتوجهة في ذلك الاتجاه أن
تحمل ما يكفيها من الماء وعدم التوقف
في هذه الجزيرة . وإذا ما اضطروا إلى
التوقف فلتكن (أنجولا) . وعلى جميع
السفن الانتظار في كورفو في بحر
الأزور ، حتى يتمكن الأسطول من
مرافقتهم في رحلة العودة إلى لشبونة " .

ولدينا اليوم وثيقتان برتغاليتان عن
رحلة لانكستر . الأولى كتبت بعد سنتين
من بدء رحلته إلى الشرق ويقول فيها
الملك : " صديقي نائب الملك ، أنا الملك
أرسل لك تحياتي ، لقد كتب لي لويس
فرنانديس دوارتي [والموجود في بلاط
الملك شريف في مراكش] أنه يوجد في
مراكش رجل إنجليزي يتحدث عن

وصول الإنجليز والهولنديين إلى الشرق
حيث أنه وبعد شهرين من مغادرة رالف
فتش وأصدقائه لندن ، يتوجه في ٨
أبريل ١٥٨٣ رجل هولندي يدعى جان
هويخن لينشوتين (Jan Huyghen)
(Linscoten من لشبونة إلى الهند .

لقد كتب هذا الهولندي الكتاب
المشهور المسمى (إيتناريو) أو المذكرات
الخاصة والتي نعتقد أن بيدرو تينحسيرا
قد قرأه قبل البدء في كتابه ، ومع
تواجد الاثنين في جوا في عام ١٥٨٨ إلا
أننا نعتقد انهما لم يلتقيا ، ولكن نكاد
نجزم بأنه لو لم يكتب الهولندي
كتابته ، لكتب تينحسيرا كتاباً مماثلاً
لذلك .

ورغم أن الهولندي قد غادر كوشن
بعدة أشهر قبل وصول فتح إلى
البنغال ، إلا أن الأول لم يصل إلى
لشبونة إلا بعد ثلاث سنوات في ٢ يناير
١٥٩٢م .

ووصل فتح إلى لندن في ٢٩ أبريل
أي قبل وصول الهولندي إلى لشبونة ،
وقبل ثلاثة أسابيع من مغادرة أول
أسطول إنجليزي إلى الشرق تحت قيادة
القبطان ريموند (Raymond) والذي
استطاعت سفينة واحدة من الثلاث

مناطق تجارية بعيدة مثل سومطرة وبيجو ، والتي لا توجد لنا قلاع فيها . وأنصح أن نباشر العمل في ذلك وأن نقوم بالتبادل التجاري مع أهالي هذه المناطق . إن هذا الإنجليزي يحاول الحصول على المساعدة من أهل مراكش على المعلومات التي سوف تساعد في الوصول إلى هذه المناطق . ومع وجود الشكوك في تمكنه من ذلك أرجو منك أن تمنع أي إنجليزي من وضع قدمه في هذه المناطق من أجل التجارة . وأن ترتبط بملوك هذه المناطق بمعااهدات صداقة مع دولتنا أو مع الدول الحليفة لنا ، والقريبة منهم "

كُتِبَ بلشبونة في أغسطس ١٥٩٣م

استطراد :

وعليك أن تعلم أن الإنجليزي المذكور قد ذكر لنا أنه ومنذ سنتين غادرت إنجلترا سفن تحت قيادة القبطان تمبرتو (Tembertoe) والذي وصل إلى هناك واستولى على اثنين من الغلايين ، لذا فإنك ترى الآن أهمية ما ذكرته لك ، وسوف تنفذ ذلك " (يذكر السفير الفينيقي في البلاط البرتغالي أن السفن الإنجليزية هاجمت أربع سفن لشركة الهند الشرقية واستطاعت أن

تستولي على اثنتين ، وقامت بإغراقهما) .

في الوثيقة الثانية والمرسلة في أول مارس ١٥٩٤ يذكر الملك لنائبه في الهند مايلي : " لقد أخبرتني بأن السفن الإنجليزية قد وصلت إلى تيتانجون وعلى بعد ستة فراسخ من موزمبيق ، وأن الدوم جيرونيمو دي ازفادو منعهم من التزود بالماء . إنني أهنئ الدوم على فعله هذا . وعلمت منكم حالة التوتر التي سببتها هذه السفينة ، والخوف من وصول غيرها . أرجو منك مراقبة الأمور بدقة ومنع مثل هذه السفن من الوصول إلى هذه المواقع ومحاربتها ، واجعل منهم عبرة للآخرين حتى لايجرؤ أحد غيرهم على ذلك ، وأعلم أنك سوف تقوم بذلك " .

لم تكن رحلة لانكستر موفقة كما أرادتها بريطانيا ، وبناءً على نتائجها قرر الإنجليز التريث قبل إرسال أساطيل أخرى إلى الشرق .

ولكن يبدو أن بلادا أخرى أخذت الفكرة وأرسلت هولندا سفنها الأربع في ١٢ أبريل ١٥٩٥م تحت قيادة كورنيلوس دي هوتمان (Cornegis de Houtman) متجهة إلى أرخبيل الشرق

حاملة معها دليل البحر للهولندي لنشوتين [والذي طبع في نفس العام في هولندا] . ومثل المحاولات البريطانية ، انتهت هذه البعثة بكارثة تذكرها رسالة الملك في ١٣ يناير ١٥٩٨م إلى نائبه في الهند : " إنني قد وصلتني الأخبار من الهند والتي تذكر وصول سفراء ملك هولندا الملك أشين (Achin) إلى نائب الملك ماتياس البوكيرك محاولين عقد معاهدات صداقة وأمور أخرى ، لقد علمت أنهم غادروا الهند خائبيين . ورغم أن هذا الملك [أي ملك هولندا] قام بنقل أسقف الصين والبحارة البرتغاليين الذين تحطمت سفينتهم ، وذلك رغبة منه في الصداقة والمودة معنا . مع ذلك أنا في انتظار رسائل ماتياس البوكيرك ومنك أيضاً وأطلب منكم ذلك .

لقد أرسلت لكم رسائل مماثلة عن طريق البر بعد وصول السفن الأربع ، والتابعة لأسفار العام المنصرم ، وقد أخبرتكم في تلك الرسائل عن كل شيء وكيف قام نفس الهولنديين بالتعرض للسفن المذكورة في جزيرة سانتا هيلانة . هذه السفن كانت تحمل الفلفل والأعشاب من سومطرة وجاوة . إنني أعلم أن هولندا سوف ترسل سفناً أخرى

إلى هذه المناطق ، وأن ملك هولندا الذي أثاره فشل مهمة سفرائه سوف يحاول مرة أخرى ، لذا أطلب منكم إرسال الأسطول إلى بحر ملقا ليكون مستعداً لمنع مثل هذه السفن من دخول موانئه وأن تحاربهم بكل ما يتطلبه ذلك من قوة وعتاد وألا تمد يد الصداقة لهم " .

وفي رسالة أخرى في ٢٦ يناير ١٥٩٨م يشير الملك مرة أخرى إلى سفراء الملك أشن _ ملك هولندا - ويكتب إلى نائبه أن يبدي الود لهؤلاء السفراء الآن حيث أنه [أي ملك أسبانيا] لا يستطيع أن يعادي ملك هولندا ، خاصة وأن سفن هولندا تجوب الآن البحار التي يسيطر عليها البرتغاليون فيقول : " إنك تذكر أن سفراء ملك هولندا عادوا في السابق خائبيين من جوا بعد أن فشلوا في الحصول على مطالبهم في عهد نائب الملك ماتياس البوكيرك ، إنني سوف أرسل له [أي ملك هولندا] وأخبره أنه يستطيع إرسال سفنه الآن وأنهم يستطيعون التعامل في التجارة مع جزيرة سومطرة . ولك أنت والمجلس الحاكم القرار " .

في ١٠ مارس ١٥٩٨م كتب الملك مرة أخرى إلى نائبه في الهند : " إنه

وفيما مضى كان المطلوب من سفننا الانتظار في سانتا هيلانة لفترة من الزمن لا تتعدى العشرين من شهر مايو ، ولقد تبين لنا الآن أن الفترة المذكورة يمكن امتدادها إلى نهاية شهر مايو والسبب في ذلك أن إحدى سفننا اضطرت لمواجهة السفن الهولندية هناك بسبب تأخرها ووصولها وحيدة إلى سانتا هيلانا ، المطلوب الآن الحذر الشديد عند التوجه إلى سانتا هيلانا حتى لا تفاجئهم السفن الهولندية ” .

يزداد الوضع تأزماً بين هولندا وأسبانيا مرة أخرى ، لذا نجد بعد أسبوع من الرسالة السابقة ، يوجه الملك رسالة أخرى إلى نائبه في الهند قائلاً : ” الكونت والقائد البحري ، صديقي نائب الملك ، والإنسان المحبب لدي بعد أن كتبت لك سابقاً عن هذا الموضوع [بخصوص الهولنديين] وأسفارهم إلى الجنوب . إنني متأكد أنك اتخذت الخطوات اللازمة لإبادتهم في بحر ملقا وأنه أصبح الآن من الضروري إرسال سفينة أو اثنتين إلى هناك - بدلاً من أن تأخذ اثنتين من خمس سوف تتوجه إليكم هذا العام - وسوف يتوجه إليكم كوزمو دي لافيتا (Cosmo de Lafeta) الذي سوف يكون مسئولاً عن السفن

الرسلة إلى ملقا لقطع الطريق على الهولنديين ، ويبدو لنا أن إنجاز هذا الأمر سوف يكون أسرع بإرسال سفينة من جوا إلى ملقا بدل الانتظار لكي تنفذوا هذه الأوامر الرسالة لكم والتي أهم شيء فيها تحقيق رغبتى وعدم الاهتمام بأي شيء آخر ، والوصول إلى هدف تحطيم هذا التدخل وصيانة كرامة سفننا ”

وقعت هذه الرسالة بواسطة الأمير في ١٧ مارس ١٥٩٨م وذلك لشدة مرض الملك الذي توفى في ١٣ سبتمبر من نفس العام .

وعندما كانت السفن البرتغالية جاهدة للتوجه إلى الهند حاملة الرسائل الملكية المغلقة إلى نائب الملك في ه أبريل ١٥٩٨م أرسل سكرتير الملك الملحق التالي مع هذه السفن ، وبأمر من حاكم البرتغال : ” وفي يوم مغادرة السفن وصلتنا رسالة من جزيرة ماديره تخبرنا عن توجه الأسطول الهولندي إلى الجنوب . لذا وجب عليك حسب تعليمات الحاكم أن تقوم يا صاحب السعادة بالاحتياط اللازم في خليج انتاو جل (Antao Gil) ، في جزيرة ساو لورنسو (Sao Lourenco) . وعليك بمعاينة البرتغاليين الذين تسببوا في حوادث جزيرة جاوة الكبيرة ، خاصة

أصحاب الأسماء المذكورة في نهاية
الفقرة ، ومرفق مع هذه الأوامر ، أوامر
أخرى سوف يقوم بتنفيذها كوزمو دي
لافيتا " .

كُتبت بواسطة سكرتير حاكم البرتغال
- ديوغو فيلو (Diogo Velho)

لقد كانت الرسالة التي وصلت من
جزيرة ماديره ، تحمل المعلومات
الآتية :

ملخص لرحلة

السفن الهولندية

خليج انتاوا جل الواقع قرب جزيرة
س. لورينسو والذي يوجد على موقع
١٦ شرق الجزيرة المذكورة ، وهو خليج
متسع وتقع فيه عدة جزر صغيرة إحداها
شديدة الارتفاع . ويوجد خلفها موقع
مناسب لرسو السفن . وهذه الجزيرة
المذكورة مسكونة وتنتج كمية كبيرة من
الفواكه مثل البرتقال والحمضيات وفيها
أعداد كبيرة من الحيوانات مثل الأبقار
والأغنام وبها مائتا منزل .

في خارج هذا الخليج تقع جزيرة
سانتا ماريا والتي وجد فيها الهولنديون
الفواكه والسّمك . ولقد واجههم تيار
مائي قوي في المضيق الواقع بين جزيرة
جاوة الصغيرة وجزيرة بالي ، منعهم من

التوقف . فتوجهوا من جزيرة بالي إلى
الغرب والجنوب الغربي حتى وصلوا إلى
بنتاوا (Bentao) في جزيرة جاوة
الكبيرة حيث حملوا سفنهم بالبضائع
لقد قابل الهولنديون الكثير من
البرتغاليين في جزيرة جاوة الكبيرة
والذين قاموا بالترحيب والاحتفاء بهم
وزودوهم بالمعلومات وبالأسرار
التجارية ، خاصة عن الفلفل الأسود وما
قد يعود به من ربح إذا هم تاجروا به .

ونذكر من البرتغاليين بيدرو دي
أتيد (Pidro de Attide) من ملقا
الذي أخبرهم بما يحاك لهم سراً من
قِبل البرتغاليين ، وحذرهم من المخاطر
التي تنتظرهم من أهل جاوة إذا ما نفذوا
تهديدهم ، ولذلك نجد أنه وبمساعدة
هذا البرتغالي وغيره عادت السفن
الهولندية من هناك سالمة " .

لقد كان فشل البعثة الإنجليزية
الأولى هو الدافع الرئيسي وراء البعثة
المكلفة من قِبل الملكة اليزابيث ، والتي
تكونت من ثلاث سفن تحت قيادة
السير روبرت دودلي في عام ١٥٩٦م
(Sir Robert Dudley) ، الذي كان
يحمل رسالة إلى امبراطور الصين .
وكانت السفن البريطانية الثلاث [ذا

بير - وبيرويلب - وبنجامين] هي ثالث مجموعة من السفن البريطانية تحاول أن تجد طريقها إلى الشرق ، ولم تفلت هذه السفن من العين الراصدة للأسطول البرتغالي . لذا نجد أن الغرفة التجارية في جوا تكتب للملك في ديسمبر ١٥٩٧م مايلي : لقد قضى الكونت نائب الملك الشتاء في مومباسا ، ولقد وجد حالة الاستعداد البحري مزرية جداً ، ولذلك أخذ في الإصلاحات البحرية وطلب بناء السفن الخفيفة والسريعة ، ولقد أبلغه قبطان قلعة موزمبيق بأنه شاهد في يوليو الماضي سفينتين إنجليزيتين في البحر المقابل لقلعة موزمبيق ، مما دعا الكونت نائب الملك أن يعجل بإنزال الأسطول إلى البحر إضافة إلى شراء سفينة كبيرة بمبلغ ستة عشر ألف باردوس (Pardaos) وسفينتين ملكيتين كبيرتين وتسع سفن صغيرة قام أيضاً بشرائها لعدم تواجد سفن تابعة لصاحب الجلالة آنذاك في أحواض السفن ولقد تم تجهيز ستمائة مسلح تحت قيادة لورينسو دي برتو ، وتوجه الجميع في ٢٠ سبتمبر إلى ملقا لاعتقادهم أن العدو قد توجه إلى هناك وسوف يتخلص منه أسطولنا . نود أن نبليغ جلالتكم أن

تصرفات نائب الملك كانت عظيمة ، خاصة إذا علمنا أنه في السنوات الماضية قامت السفن الإنجليزية في البحار الجنوبية باحتجاز سفينتين تابعتين لنا كانتا متوجهتين إلى البنغال ولم نسمع عنهما شيئاً ، لذا نطلب منكم يا صاحب الجلالة إمدادنا بالمال والرجال والعتاد وبأسرع وقت ممكن .

ويكتب الأب جو دي سانتوس من موزمبيق مؤرخاً هذا الحدث في كتاب (أثيوبيا الشرق) :

" عندما وصلنا إلى موزمبيق ، كان القلق مسيطراً على أهل البلاد ، وكانوا في خوف عظيم من وصول الأسطول الإنجليزي ، وذلك بسبب المعلومات الواردة عن طريق البر من البرتغال إلى الهند والتي قام حاكم الهند مانويل ديسوزا بإبلاغها إلى القلاع البرتغالية .

لقد انتقل أهل البلاد بمتاعهم ومحاصيلهم إلى القلعة التي أصبحت مزدحمة _ زيادة على دعوة قائد الحامية دوم هورنيمو دي أيزفيدو (Dom Hieronymo de Azevido) لقائد مالندي براس دي أجويار (Bras de Aguiar) بالانسحاب من قلعته إلى موزمبيق .

ودعا إليه الضباط والأسقف الأب اليكسيو دي منزيس ، وكل الضباط المتقاعدين وأطلعهم على هذه الرسالة ، وأخبرهم بخطورة الأمر فيما لو وصلت هذه السفن إلى ملقا ، خاصة وأنهم ربما يثيرون البلاد المجاورة ضد قلعة ملقا . ويتعرضون لتجارة الصين واليابان والهند . ولقد أخبر الكونت المجلس أنه على استعداد لتنفيذ قراراته (المجلس) لأنه لديه ما يكفي من الغلايين والرجال والعتاد ، وسوف يدافع عن حق الملك ، وأنه قد جاء إلى الهند للدفاع عنها وليس للراحة . وطلب من أعضاء المجلس إعطاء رأيهم كتابياً بما يرضي الله والملك ، في اليوم التالي جاء الجميع وأعطوه آراءهم مكتوبة ، واتفقوا على إرسال سفينتين كبيرتين وثلاث عشرة سفينة أخرى ، وخمسمائة من الرجال المسلحين . وكان ذلك في اعتقادهم يكفي للبحث عن هذه السفن - الهولندية - وتأمين المسارات البحرية للصين واليابان .

وبعد الاتفاق ، توجه القائد البحري العام ، الكونت نائب الملك إلى حوض السفن الخاص بالأسطول ، ونظراً لعدم وجود المشرف المسئول (وذلك لأن المسئول الذي عين في عهد

لقد وصل الأخير في سفينتين مع رجاله وبارجتين محملتين بالمؤن ، ومع كل التوقعات والاستعدادات لم يصل الإنجليز إلى موزمبيق إلا بعد سنتين ، وفي سفينتين فقط (في ١٣ يونيو ١٥٩٧) توجهتا إلى البحر الجنوبي - إلى ملقا - علماً بأنه في عام ١٥٩١ - أي قبل ست سنوات - زارت موزمبيق سفينة إنجليزية واحدة فقط ، وكانت أول سفينة إنجليزية تتوجه إلى الهند منذ عهد فرنسيس دريك . هذه السفينة المذكورة توقفت في تيتانجون [مورد مائي مشهور] وتزودت بالماء في ٢٧ أكتوبر وتوجهت بعد ذلك إلى ملقا .

أما كوتو (Couto) فهو يذكر هذه الأحداث بعد وصوله إلى جوا في موزمبيق في ١٩ أغسطس ١٥٩٧ .

" لقد نقل قبطان هذه السفينة رسالة من قبطان القلعة في موزمبيق والتي يذكر فيها أن سفينتين هولنديتين (إنجليزيتين) وسلتا إلى ميناء تيتانجون على بعد خمسة فراسخ من موزمبيق وتزودتا بالماء . وبدا له أنهما متوجهتان إلى سوندا . لقد قلق الكونت والمدينة وأهلها لثل هذه الأخبار وطلب الحاكم - حاكم جوا - انعقاد المجلس

ماتياس البوكيرك - فيسينسيو دي بوني قد توجه إلى البرتغال في يناير ١٥٩٧ بعد أن أُبلغ بوصول الكونت القائد العام إلى جوا) وكان الكونت غير راغب في تعيين أحد في هذا المنصب لأنه أراد الاحتفاظ به لنفسه ولكن وفي هذه الظروف قام بتعيين دي فرانسيسكو دي نورونها (D. Francisco - de Noronha) مسؤولاً طالما بقيت مسؤولية الأسطول المذكور . وعين أخاه دي لويس دا جاما (D. Luiz da Gama) مسؤولاً عن مخازن السلاح والذخيرة ، وعين دي أنتونيو دي ليما (D. Antonio de Lima) مسؤولاً عن مخازن المؤن . وطلب من ضباط الجمارك مساعدته وإطاعة أوامره .

وعين لورنسو دي بتو قائداً عاماً للأسطول المزمع إرساله إلى ملقا . ولم يستقر نائب الملك حتى أكمل كل التجهيزات اللازمة ، ودفع ثلاثة أرباع أجر كل جندي وعامل على هذا الأسطول . ونتيجة للسرعة التي لازمت الاستعدادات ، جُهِز الأسطول المذكور والذي استقل سفينته الكبرى القائد العام ، واستقل السفينة الثانية القبطان بيريرا كوتينو (Pereira Cotinho) أما الباقي فواحدة للقبطان د. لويس دي

نورونا ابن كوند دي ليناريس والذي جاء إلى البرتغال عام ١٥٩٥ م حاملاً معه لقب القائد البحري ، وسفينة أخرى بقيادة جورينمودي نورونها ، ابن أنتونيو دي منزيس . هذا بالإضافة إلى سفينة أخرى في انتظار الأسطول في ملقا مع قبطانها روي دياس دي أجواير . أما السفن الصغرى وعددها تسع بقيادة القبطان دي فرانسيسكو هيرنيكي (D. Francisco - Herniques) وهو قبطان قلعة ملقا ، والقبطان استيفادو تينحسيرا دي ناسيدو (Estevado Teixeira de Nacedo) قلعة موزمبيق ، وألفونسو دي منزيس ابن فرانسيسكو دي سيلفا دي منزيس ، ونيكولاو بيريرا دي ميرندا ابن هنريك هنريكور دي ميرندا ، ولويس لوبيز ديسوز ، جيرونيمو يوثيلو ، وجورج دي ليما بارتو دي - ديجولوبو ابن دي رودريجو لوبو ، وجو د. سينحاس .

غادر الأسطول جوا في يوم الأحد الرابع والعشرين من سبتمبر . أما عن السفن الهولندية (الإنجليزية) فإنها وبعد تزودها بالماء في تيتانجون توجهت إلى قبالة جوا ، ومنها إلى ملبار إلى رأس كوميريم وهناك احتجزوا السفن التجارية المتوجهة من جوا إلى البنغال ، ومحملة

بالأرز . وبعد صدام معها صادروا حمولتها وسرقوا مبالغ كبيرة من المال ، ولكنهم أطلقوا سراحهم بعد ذلك وأرسلوهم في طريقهم متوجهين إلى ملقا - ووصلوها كما سوف نرى لاحقا .

ويذكر كوتو عن الأسطول البرتغالي - المرسل لتعقب اسطول الهولنديين - بأن هذا الأسطول أي البرتغالي وصل إلى ملقا في ٢٤ سبتمبر ١٥٩٧ ماعدا سفينة واحدة بقيادة لويس لوبيز ديسوزا والتي تحطمت قرب منار ، ولكن التحقوا القبطان والجنود بسفينة أخرى والتحقوا بالأسطول البرتغالي في ملقا . وبلغت أنباء السفن البرتغالية إلى القبطان البحري لورينسو دي برتو في ملقا وأخبر بأنها متواجدة في رأس كوميريم ، قام القبطان البحري بدعوة مجلس الحرب للانعقاد ، فقرر المجلس بكل أصواته بأنه يتحتم على القبطان البحري التوجه بكامل أسطوله إلى سوندا وساحل جزيرة جاوة لتأديب السكان المحليين الذين ثاروا على الوجود البرتغالي المسيحي فيهما وسرقوا ممتلكاتهم .

هذا إلى جانب دعوة ملوكهم إلى عدم الاتصال بأية قوة أوروبية أخرى إذا ما دخلت سفنها إلى موانئهم ، ومن

ضمن التوجيهات إلى القائد البرتغالي بأنه يتحتم عليه إلقاء القبض على اثنين من الإنجليز في جزيرة بالي [الحقيقة أن الكاتب هنا يخطئ كل مرة ويسمي الهولنديين إنجليزا حيث يؤكد المترجم بأن المذكورين هما هولنديين تخلفا عن أسطول هولندا الذي قاده هوتمان إلى تلك الأراضي في ١٥٩٧م ولم يلحقا بالأسطول عند مغادرته جزيرة بالي وبقيتا بين الوثنيين فيها] .

عندما غادر الأسطول بأمر نائب الملك طلب منهم الأخير عدم التعرض لأية سفينة متجهة إلى سوندا وجاوة ورغم ذلك قام القائد العام للأسطول بمصادرة أغلب محتويات السفن التي صادفها في طريقه ، فسبقت هذه السفن إلى المكانين المذكورين وأخبرت الأهالي بما حصل لها ، فاستعد الناس لوصول أسطول البرتغال .

عند وصول الأسطول إلى سوندا أرسل القائد سفنه الصغيرة للتزود بالماء ولكن منعهم الأهالي من ذلك ، فنزل كثير من بحارة الأسطول وضباطه إلى الساحل فحاصروهم الأهالي وقتلوا الكثيرين منهم بما فيهم القادة الثلاثة د. لويز ، و د. جورينمو د. نورونها ،

وروي دياز أجويار . ولم تستطع سفن الأسطول التدخل لصعوبة مناورتها نتيجة الحمولة الكبيرة والمصادرة من السفن الأخرى ونزول أغلب البحارة المدفعيين إلى الساحل . ولم ينزل القائد الأعلى لإنقاذهم ، وذلك لصعوبة الأجواء وهيجان البحر حول الجزيرة . وبدخول موسم الأمطار (المانسون) لم يتمكن القائد البحري لورينو دي برتو من الانتقام من الأهالي ، أو الحصول على الهولنديين ، فغادر الميناء إلى ملقا ، ووصل إليها في ١٠ يوليو ١٥٩٨ وبقي فيها إلى يناير من العام التالي متوجهاً إلى جوا ، وقبل مغادرته حاول البحث عن البريطانيين المذكورين ، ووصلته أنباء بأنهما قد تسلقا سفينة راسية في ميناء كويدا على بعد ستة فراسخ من ملقا ، ولكنه لم يتوجه لاعتقالهم رغم مطالبة قائد حامية ملقا والضباط المرافقين . عندها أرسل نائب الملك يأمره بالتوجه إلى جوا ، وبمجرد وصوله إلى هناك أخبره سكرتير نائب الملك بأن عليه التوجه إلى منزل للإقامة الجبرية حتى يتم التحقيق في بعض المخالفات التي ارتكبتها .

وقرر نائب الملك دعوة المجلس الحاكم لنظر القضية وإصدار الحكم فيها

ولم يقبل أعضاء المجلس بذلك ولأسباب خاصة قرروا إحالتها إلى المحاكم العادية قبل أية قضية أخرى ونتيجة لذلك حكمت المحكمة على القائد المذكور بغرامة مالية كبيرة وتعيينه قائداً على حامية (سفالة) . يقول كوتو : " إن نائب الملك أرسل لورينو دي برتو قائداً لحامية سفالة وذلك بعد إعادة الاعتبار له وتبرئته من التهم الموجهة إليه ، وبعد ثلاثة أعوام عين قائداً لحامية موزمبيق ، حيث قاد في ١٦٠٩م حملة تأديبية ضد عدد كبير من (الكفرة) (يبدو أن الكفرة مسمى محلي للسكان وربما كانت هذه التسمية مأخوذة من العرب المقيمين هناك للسكان الأصليين) وخسر فيها المعركة ، وكانت خسائره البشرية كبيرة جداً مما أدى إلى تجريده من أوسمته ورتبته ، وكانت تلك هي نهايته العسكرية .

ورغم فشل أسطول لورينو برتو في تحقيق مطالب نائب الملك فقد استطاع أسطول برتغالي آخر تحقيق ذلك دون أن تكون مسؤوليته القيام بهذا العمل .

فقد كتب كوتو مرة أخرى : " بينما كان لورينسو برتو في سوندا لم

يكن أولئك الذين في ملقا يدركون قرب الأسطول الهولندي (الإنجليزي) منهم ، وبينما كان الأسطول البرتغالي المتوجه إلى الهند من ملقا يستعد للإبحار (كان هذا الأسطول مكوناً من سفينة ماجويل دي كونها الذي كان سينقل الضابط المسئول عن حامية ملقا لانتهاه فترة عمله والذي كان يدعى فرانسيسكو دا سلفا دي منزيس ، وكان في نفس الوقت قائدا لهذه السفن في طريقها إلى جوا . وكانت هناك سفينة أخرى في الصين وقبطانها فيرناد دي أليدا وعدة سفن أخرى) .

قبل مغادرة هذا الأسطول ملقا توجه القبطان جوجومي فايو - يسبقه بيوم واحد - إلى الهند في اليوم التاسع وعلى بعد ثلاثين فرسخاً من ملقا وقرب جزيرة بولو بار سيلار ، شاهد سفينتين هولنديتين (إنجليزيتين) ، فعاد أدراجه متوجهاً إلى ملقا مرة أخرى ومرسلاً (بلم) في المقدمة لينذر الأسطول المتواجد فيها بقرب أسطول العدو ويخبر فرانسيسكو دا سلفا دي منزيس عن هذا الأسطول . بوصول هذا النبأ ، قام القائد المذكور بجمع كل الضباط المتواجدين لاستشارتهم حيث قرروا عدم

التوجه إلى الهند والصمود لمحاربة سفن العدو .

عادت السفن البرتغالية إلى ملقا وكانت في مقدمتها سفينة (جوجومي فايو) .

ما إن شاهدت سفن العدو السفن البرتغالية حتى رفعت الأعلام الملونة والبيضاء بدعوى أنها سفن تجارية قادمة إلى الميناء . ورست هذه السفن قرب سفينة جوجومي فايو . وما هي إلا ساعات حتى اشتعلت حرب المدفعية بين الأسطول البرتغالي وبينها فقد فيها أسطول العدو العتاد وأصيبت سفنه وقتلت ابنة فرانسيسكو دا سيلفا دي منزيس وخادمتها بقذيفة مدفع ، وانفجر مخزن البارود لقائد الأسطول المعادي وفر هذا الأسطول المصاب إصابات سيئة من ميدان المعركة . وأرسل الأسطول البرتغالي رسله إلى ملقا لإخبار حاميتها بالأحداث ونتائجها ، وتوجه بعد ذلك إلى كوشن .

أرسل قائد حامية ملقا سفنه للبحث عن أسطول العدو فوجده في ميناء كويدا وقد أصيبت سفنه ، وقتل الكثيرون من بحارته وجرح عدد كبير من الباقين ، وغادر الأسطول الإنجليزي

ميناء كويذة أوكده في سفينة القائد
متوجهين إلى البنغال .

الاحتكار البرتغالي . ولكن ولسوء الحظ
انتهت بكارثة عظيمة .

الهولنديون في الشرق

في عام ١٥٩٨م توجه أول أسطول
هولندي إلى الشرق ، وكانت سفينتا
القيادة (الأسد واللبؤة) تحت قيادة
الرهيب كورنيلوس دي هوتمان
(Cornelis de Houtman) ، والربان
الرئيسي رجل إنجليزي يدعى جون
ديفس (John Davis) والذي يعتبر
الوحيد الذي كتب عن هذه الرحلة
والتي هلك فيها القائد الأعلى وكثير من
مرافقيه .

بدأت هذه السفن الإبحار من
فلشنج (Flushing) في ١٥ مارس
١٥٩٨ ووصلت في ٢١ يونيو ١٥٩٩م إلى
ميناء أشن ، ويعتبر الميناء الرئيسي
لتجارة الفلفل الأسود في أرخبيل
الملايو . وكانت هذه السفن أول سفن
أوروبية بعد البرتغاليين تصل إلى هذا
الميناء . وكانت بهذا أول محاولة لكسر

ولقد كانت نصائح الملك الدائمة في
أسبانيا والبرتغال ، أن يقوم رعاياه
بمعاملة ملك أشن معاملة جيدة وهذا
إنعكس على الهولنديين عند وصولهم إلى
هذا الميناء . ويذكر كوتو تفاصيل
الأحداث كما يلي : " قبل أن يغادر
دي لويس دي جاما إلى هرمز ، جاء
إليه سفراء من أشن وقام باستقبالهم
احسن استقبال ، وفي أبهة زائدة ،
وبحضور كل الضباط والشخصيات
الكبيرة المتواجدة في جوا آنذاك . وقد
أجلز لهم العطاء ورعاهم لحين موعد
مغادرتهم إلى أشن ، لا أعلم الغرض من
زيارتهم ولم يتم تسجيل الزيارة في سجل
الدولة (كوتو يعتبر مؤرخا للهند في تلك
الفترة الزمنية ، وله حق الإطلاع على
السجل) . على كل حال ، لقد عادوا
راضين عن زيارتهم في ٣ مايو ١٥٩٩م .
عادوا إلى ملكهم حاملين له الهدايا في
سفينة كبيرة يقودها لويس ماسيدو بوتو
(Luiz Machedo Boto) " .

في ٣ أكتوبر ١٦٠٠م وصل إلى جوا
نائب الملك المعين حديثاً إيرس دي
سلدانا (Aires de Saldanha) ،

وتوافق ذلك مع مغادرة الأساطيل جوا
(هذه الأساطيل غادرت بأمر من نائب
الملك السابق دي جاما) .

بعد مغادرة سفينة السفراء وصلت
إلى قلعة ملقا حيث نزل منها السفراء
واستقبلوا أحسن استقبال ، حيث كان
ذلك سوف يؤدي إلى الأمن والسلام لهذه
الحامية ، خاصة إذا ما علمنا أن الملك
أشن قد هاجم هذه القلعة عدة مرات
ومنع عنها سفن الصين واليابان .

قام قائد حامية ملقا فرنو دي
البوكيرك ، بإرسالهم إلى بلادهم بصحبة
ألفونسو فينسننت ، حيث كان معروفاً
لدى الملك ، ويرافقه الأب أمارو من
رهبان الأب القديس أغسطين ، لعلمه
باللغة وقيامه بالترجمة .

عند وصول سفينة ملقا إلى هناك
وجدت سفينتين هولنديتين في ميناء
أشن . هذه السفن هي نفس السفن التي
اشتبكت مع سفن د. جورنيمو كوتينهو
في جزيرة سانتا هيلانا .

ودخلت سفينتنا الميناء ، ونزل
سفراء الملك ومعهم سفيرنا وكثير من
المرافقين وعدد كبير من المستقبليين ،
أرسلهم الملك لذلك وتمت مقابلة الملك ،

وأكرم وفادتهم ، وفرح بالهدايا المرسلة
من نائب الملك في جوا .

انتهر الفونسو فينسننت خلوته مع
الملك والترجمان وطلب من الملك دعوة
البحارة وضباطهم المتواجدين في السفن
الهولندية إلى وليمة ، والتخلص منهم
جميعاً وقتلهم حيث أنهم قراصنة
(ويذكر جون ديفيس أن الملك أخبر دي
هوتمان بما طلب منه البرتغالي ، وأبدى
رغبته في التعاون معه ، وأهداه كيساً من
الذهب) ، وطلب منه مساعدته ضد
أسطول ملك جوهر (مملكة في الطرف
الجنوبي من ملقا) وكان في حالة حرب
معه .

استعد أسطول ملك أشن لمهاجمة
أسطول ملك جوهر ، والتحق الأسطول
الهولندي به مقابل شحنة كاملة من
الفلل الأسود . ومن مختلف المصادر
توجد ثلاث روايات تذكر مصير
الأسطول الهولندي . الأولى منها تؤكد
دعوة الملك للقائد الهولندي وقياداته إلى
وليمة حسب طلب القائد البرتغالي
ألفونسو فينسننت ، وأهلكهم جميعاً .
أما الرواية الثانية فتؤكد موت الطاقم
الهولندي بالسم الذي دس لهم في النبيذ
على ظهر السفينة . والرواية الثالثة

وكتبها جون ديفيس ويؤكد فيها الرواية الثانية ، ولكنه يذكر أن العدد المتبقي من الهولنديين كان صغيراً ، لذا قام بإغراق إحدى السفينتين وأبحر بالثانية .

في أول مايو ١٥٩٨ أبحرت ثماني سفن تحت قيادة جاكوب كورنيلز فانيك (Jacob Cornelisz Van Nick) وويبراند فان واريجيك (Waybrand Van Warwijek) وغادرت هذه السفن ميناء تيكسل (Texel) متجهة إلى الشرق ، وصل ثلاث منها في نوفمبر إلى بنتام والخمس الباقيات بعد شهر من ذلك التاريخ . في ١١ يناير ١٥٩٩ غادرت أربع سفن منها تحت قيادة فانيك مارة بسومطرة ، وبعد توقف في سانتا هيلانة ، وصلت إلى تيكسل مرة أخرى في ١٩ يوليو ١٥٩٩ .

أما السفن الأربع الباقية ، فقد غادرت بنتام في ٨ يناير ١٥٩٩ تحت قيادة فان واريجك وجاكوب فان هيمسكرك (Jacob Van Heemskerck) ووصلت أمبوينا في ٣ مارس (بعد أن تعرضت في الطريق لاعتداء من أهالي جزيرة أريسابايا وفقدت عدداً من

الرجال غرقاً واسترجعت بعض السجناء مقابل دفع غرامات مالية) .

في ١١ مارس غادرت اثنتان من السفن الأربع تحت قيادة فان هيمسكرك ووصلت إلى باندا ، وفي ٥ يوليو عادت إلى بانتام ومنها إلى سانتا هيلانا . في أول يناير ١٦٠٠م غادرت هذه السفن سانتا هيلانة ووصلت إلى تيكسل في ١٩ مايو ١٦٠٠م . أما السفن الباقية وتحت قيادة فان واريجيك فقد وصلت في سبتمبر ١٦٠٠ إلى تيكسل . وقد نشرت الصحيفة اليومية خبر الرحلة التي قامت بها السفن الثمان إلى الشرق .

ويبدو أن معركة بحرية كبيرة قد وقعت قرب جزيرة سانتا هيلانا ، سقط فيها العدد الكبير من القتلى من الهولنديين والبرتغاليين . وتذكر المصادر البرتغالية بأنه ما إن غادرت السفن الهولندية هذه الجزيرة حتى ابتدأ البحارة البرتغاليون بعملية إصلاح السفن ، وبعد خمسة أيام من مغادرة أسطول هولندا (في ٣٠ أبريل وصلت السفينة نوسا سنيورا داباز . وفي ٣ مايو وصلت السفينة كونسيساو . وفي ١٦ مايو وصلت سفينة القيادة في جوا وأخبرهم

الأسطول البرتغالي فقد فشل في البحث عن السفن الهولندية ، فتوجه إلى جوا بقيادة دي جورينمو كوتينهو .

إلى جانب السفن الهولندية المتجهة إلى الشرق حول رأس الرجاء الصالح ، فقد أرسلت هولندا أسطولين في اتجاه الجنوب الغربي وكان الأسطول الأول مكوناً من خمس سفن تحت قيادة جاكس ماهيو (Jacques Mahu) وسيمون دي كورديس (Simon de Cordes) وكان القائد البحري وليام آدم (William Adam) في إحدى هذه السفن .

استطاعت هذه السفن الوصول إلى موانئ اليابان بعد إبحارها من روتردام في ٢٧ يونيو ١٥٩٨ . وقد انتهت سفن هذا الأسطول إلى كارثة عظيمة . وقد ذكرت تفاصيل هذه الكارثة في عدة مصادر ، ولكننا سوف نعتمد على مصدر كوتو لدقته .

في عام ١٦٠٠ وصلت إلى جزيرة اليابان سفينة هولندية وتوجهت إلى ميناء شاتيفاي (Oita) في مملكة بانجو وحيث كانت الرياح غير مناسبة في هذه الفترة من السنة ، فإنها وفي اعتقاد التجار هناك لم تأت من الصين أو

دييجو ديسوزا عن المعركة مع الهولنديين وساعده في إصلاح السفن . وفي يوم وصول سفينة القيادة ، وصلت سفينتان من أسطول هولندا ، ولكن بعد رؤية سفن البرتغال ابتعدتا عن الميناء الرئيسي إلى جزء آخر من الجزيرة ، ولم تكن الرياح مناسبة لمهاجمتهم . وقد أهمل دي جورينمو كوتينهو وصولهم في البداية ، ولكنه أبدى استعداداه لمهاجمتهم إذا ما كانت الظروف مناسبة .

أرسل قبطان السفن الهولندية رسله لمقابلة قائد السفن البرتغالية وطلب المساعدة في الحصول على الماء ، ورفض القائد البرتغالي ذلك مدعياً أنهم إذا كانوا فعلاً أصدقاء ، فعليهم الاقتراب بسفنهم منه (وكان يقصد تدميرهم) .

في ٢١ مايو ، وصلت السفينة التي يقودها د. فاسكو دا جاما (D. Vasco da Gama) وأطلق مدافعه على السفن الهولندية فاضطرت إلى مغادرة الجزيرة (سانتا هيلانه) وأبحرت إلى سواحل غينيا ، ويذكر البحار المرافق للسفن الهولندية أنهم لم يبحروا إلى سواحل غينيا ، بل واصلوا رحلتهم إلى هولندا وقد أصابهم العطش الشديد . أما عن

الفلبين ، ولكن من (أسبانيا الجديدة)
ونعتقد أنها كانت متجهة إلى مكان آخر
ولكن دفعتها العواصف إلى اليابان ،
فأرسل التجار البرتغاليون المقيمون في
الميناء إلى ملك شاتيفا يطلبون منه
الاستعداد للمساعدة إذا ما تطلب الأمر
ذلك . في نفس الوقت توجهوا إلى
السفينة في عرض البحر وما إن وجدوا
بأنها هولندية حتى عادوا مرة أخرى إلى
الميناء . وما إن بلغت أنباء هذه السفينة
إلى البرتغاليين المقيمين في نجازاكي ،
حتى أرسلوا إلى تيرازافا (Tirazava)
حاكم هذا الإقليم يخبرونه أن بحارة
هذه السفينة (من اللوثرين أعداء
البرتغال) وأعداء للمسيحية كلها ،
فاتجه حاكم الإقليم إلى بنجو وطلب من
السفينة الهولندية دخول الميناء ، وأنزل
حمولتها ودون كل ما بها في دفاتر
رسمية ، تذكر لنا هذه الدفاتر مايلي :
- اثنا عشر صندوقاً من الأقمشة الصوفية
- صناديق كريبات الزجاج - مرايا
- نظارات - خمسمائة بندقية - وخمسة
آلاف من الكريبات الحديدية -
وثلاثمائة طلقة - وبراميل بارود -
وثلاثة صناديق تحتوي على معاطف
خاصة - مسامير حديدية - مطارق
وأشياء أخرى مختلفة . ويبدو من ذلك

أنهم قد جاءوا فاتحين ويريدون
الاستقرار ، وأخبروا الحاكم بأنهم جاءوا
للبحث عن السفن الهولندية التي
غادرت هولندا في ١٥٩٩ متجهة إلى
سوندا ومالوكو ولا يعلمون أي شيء
عنها حتى الآن .

ويواصل كوتو روايته ، ويذكر ما
حدث لهذه السفن كما يلي :

" في عام ١٥٩٨م خرجت خمس
عشرة سفينة من هولندا (روتردام)
متجهة إلى الشرق ، وكانت تبخر في
تشكيلة واحدة حتى وصلت إلى ميناء
غينيا ، وانقسمت هناك إلى ثلاث
مجموعات ، عبرت إحداها رأس الرجاء
الصالح ، واتجهت إلى سوندا ، ومن
هناك اتجهت اثنتان منها إلى ميناء
أشن ، ولا نعلم ما حدث لباقي
الأسطول . أما السفينة الثالثة
والتي كانت تحت قيادة بلشازار دا
كوردا (Balhazar da Corda) (في
الحقيقة يخطئ كوتو هنا والاسم
الصحيح للقائد هو جاكس مايهو والذي
بعد وفاته أصبح سيمون دا كوردا قائد
السفينة) هذه السفينة اتجهت إلى
أنجولا ، ومنها إلى مضيق ملجاس
وبعدها إلى إحدى الجزر حيث قتل عدة

رجال منهم بحثاً عن الماء . ومن هناك اتجهت إلى قلعة شيلي في بيرو ، فقاموا باقتحام القلعة وقتل ساكنيها ، فقام الأسبان بالهجوم عليهم في الداخل وقتلوا خمسة عشر منهم ، وفر الخمسة الباقون إلى سفينتهم .

في عام ١٥٩٨ اتجه ثاني أسطول هولندي إلى الشرق الأقصى . وكان هذا الأسطول مكوناً هذه المرة من أربع سفن تحت قيادة أوليفر فان نورت (Olivier Van Noort) ، وأبحر هذا الأسطول في ١٣ سبتمبر من ذلك العام . وقد صادف الرحالة تينحسيرا (وهو في طريقه من مانيل إلى أكابولكو في ٢٤ نوفمبر ١٦٠٠م) سفينتين من هذا الأسطول ، نجا منهما بأعجوبة . ولكن اشتبكت هذه السفن في معارك ضارية قرب الفلبين مع السفن الأسبانية في ٢٤ نوفمبر و١٤ ديسمبر ، وفقد كل طرف سفينة واحدة . واتجه فان نورت من هناك إلى بورنيو حيث وصل إليها في ٢٦ ديسمبر وبقي بها حتى ٤ يناير ١٦٠١ ومنها إلى جاوة وسانتا هيلانه ، وأخيراً روتردام في ٢٦ أغسطس ١٦٠١ وكان أول هولندي يبحر حول العالم .

وبينما كان الهولنديون يضاعفون من أساطيلهم إلى الشرق في عام ١٥٩٨ ، لم يتمكن البرتغاليون من إرسال أية سفينة ، خوفاً من الأسطول الإنجليزي الذي ينتظرهم ليدمرهم ، ولكن كان حظ البرتغال أفضل من ذلك في عام ١٥٩٩ حيث يذكر كوتو : " وصلت أنباء إلى البرتغال بأن هولندا تهيئ عشر سفن للإبحار إلى الهند ، في هذا العام قامت حكومة البرتغال ممثلة في مجلس التجار بالعزم على إرسال أسطول برتغالي جيد التجهيز إلى هناك بقيادة دي جورتيمو كوتينهو - في بداية فبراير ١٥٩٩ ابتدأت الرحلة بأربع سفن وتأخرت ثلاث أخريات . وفي السفينة إس روك أبحر القبطان ديجو ديسوزا . وفي إس سماو القبطان الجاليسيان ، وسيباستيو داكوستا في السفينة كونسيساو ، وفي السفينة باز ، جو بانير فييرا - ومعهم جورو دريجوس دي تورس ، وكان مرسلًا من ملك البرتغال لكي يتسلم مكان فيدرو دا فازندا في جوا .

وفي شهر مارس ١٥٩٩ لحقت بهم السفن الثلاث الأخرى ، وكانت الأولى كاستللو وقائدها سيما دي مندوكا ، وجو سواريز في السفينة سي. مارتينو ، وجاسبر تنريدو في السفينة سي. ماتيووس

والذي طلب منه قيادة قلعة مسقط .
وكان على هذه السفن البقاء في الهند
بعد الالتحاق بالأخريات في موزمبيق .

ورحلت السفن جميعها إلى جوا
ماعدا واحدة (كاستيللو) التي فقدت في
الطريق قرب موزمبيق ، واستطاع ربانها
سيما دي مندوكا الوصول إلى الشاطئ
مع مجموعة من بحارتها ، ولكن وافتهم
النية بعد ذلك . ومع هذا الأسطول
وصلت أخبار وفاة دي فاسكو ابن
الحاكم العام لجوا ونائب الملك ، وأيضا
أخبار وفاة الملك فيليب (١٣ سبتمبر
١٥٩٨ م) .

ويعود كوتو إلى الأسطول الهولندي
قائلاً : " ثلاث من هذه السفن تحت
قيادة شينفي فان هاجن وقد غادر
هولندا في ٢٦ أبريل ١٥٩٩ وبقي عدة
أشهر في موريشيوس ووصل بعدها إلى
بنتام في ١٣ مارس ١٦٠٠ ومنها إلى
أمبوينا وباندا حيث لاقت السفن
الصعوبات من أهالي هذه المناطق والسفن
البرتغالية وعادوا إلى بنتام ، وهنا التقوا
بست سفن هولندية ورحلوا معاً إلى
سانتا هيلانه ومنها إلى هولندا في يوليو
١٦٠١ م .

في ٢١ ديسمبر ١٥٩٩ توجهت
أربع سفن هولندية إلى الشرق تحت
قيادة بيتر بوت . وفي ٢٦ أبريل ١٦٠٠
غادرت سفينتان تحت قيادة فان كاردن
إلى مدغشقر والمالديف ووصلتا إلى بنتام
في ٦ أغسطس ، ولحقت بهما السفينتان
الأخريان بعد ذلك .

أرسلت هاتان السفينتان بواسطة
القبطان بوث إلى بريامان ، ولكنهما
توجهتا إلى سومطرة ومنها إلى أشن في
٢١ نوفمبر حيث أخبرهم بعض
الهولنديين المعتقلين هناك عن سوء
المعاملة التي يلقونها من ملك أشن ،
فغادرها فان كاردن إلى بنتام ووصل
إليها في ١٩ مارس ١٦٠١ م .

في ٢٩ مارس وصلت ثلاث سفن
هولندية إلى بنتام توجهت واحدة منها
إلى مولكاس وغادرت الاثنتان الباقيتان
مع فان كاردن إلى هولندا عن طريق
سانتا هيلانه .

ويبدو أن الأساطيل الهولندية التي
توالى وصولها إلى أرخبيل الملايو ،
أثارت القلق والمخاوف في جوا ، ولكن
ما يثير التعجب أن غرفة تجارة جوا لم
تذكر في رسائلها إلى ملك البرتغال أي
شيء عن هذه المخاوف . ورغم إرسالها

في نفس الوقت الدعم الحربي إلى ملقا وقلاع أمينو وملاكو ، ورغم تأكيد كوتو في مراسلاته عن نية البرتغاليين منع الهولنديين من القيام بأية أعمال تجارية في الهند أو أرخبيل الملايو ، يبقى الصمت ملازماً مراسلات نائب الملك إلى لشبونة .

وقد ازدادت السلطات البرتغالية في جوا توتراً عندما أسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية في عام ١٦٠٠ ، واتحدت الشركات التجارية الهولندية في شركة واحدة أطلق عليها شركة الهند الشرقية المتحدة في عام ١٦٠٢ . هنا وفي هذه الظروف فقد البرتغاليون هدوءهم وأرسلوا الاستغاثة الآتية في عام ١٦٠٣ إلى ملك البرتغال :

" مع أن أمور الجنوب تحتاج شرحاً أوفر ، إلا أننا سوف نختصر . ان الجنوب ملئ بالهولنديين الآن . وفي هذا العام استولوا على سفينة متجهة من سامتوم إلى ملقا وكانت محملة ببضائع تبلغ قيمتها ثلاثمائة ألف كروزادوس (عملة برتغالية) ، ومبالغ من المال تبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف مرسله إلى البنغال . وقد صادروا أغنى وأعظم

سفينة غادرت الصين في التاريخ ، وكانت محملة بكل شيء من الهند ، وانتظروها قرب مضيق ملقا ، وفي نفس الوقت صادروا سفينة صينية . إن قلعة ملقا لم تزود ولا تستطيع تزويدها . وقد أصابت مدينة ملقا المجاعة بأسباب منع الهولنديين لسفن التموين من التوجه إليها .

إن هذه الأمور تحتاج قراراً سريعاً . وهو لديكم يا صاحب الجلالة ، لقد أرسل لنا ملك أشن سفراء يطلبون بناء قلعة في أرضه ، ولكننا لم نوافق . لذا نجده قام بالاتصال بالإنجليز من أجل ذلك . لذا نرجو جلالتم أن ترسلوا لنا أسطولاً قوياً ويتم توجيهه إلى ملقا وليس للهند خوفاً من عدم وصوله إلى الجنوب حيث سوف تنتهي الهند فيما لو فقدنا الجنوب " .

كانت هذه الحالة سائدة في الشرق الأقصى عندما غادر بيدرو تينحسيرا الهند في بداية ١٦٠٤م عائداً إلى بلاده .

[يتبع]

تاريخ الخليج والبحر الأحمر

ملوك هرمز وقنظفان

ترجمه إلى الإنجليزية ويليام إف سنكلير

(متقاعد من ديوان موظفي الحكومة الإنجليزية في يومبي)

ونقله إلى العربية الدكتور عيسى أمين

[حباً في معرفة تاريخ الخليج ، ورغبة في دراسة أصول
التدخل الأجنبي وأسبابه ، أقدم هذه الترجمة لكتاب
نادر وآمل أن ينال إعجاب قراء العربية] د. عيسى أمين

في أنفاريديرو تينخسيرا "٢"

من كتاب ملوك فارس

"قدمنا في العدد ٣١ من الوثيقة الجزء الأول من هذا الكتاب النادر الذي يترجم لأول مرة إلى العربية . . ويسعدنا أن نقدم على هذه الصفحات الجزء الثاني منه راجين أن يحقق الهدف وأن يفيط اللثام عن كثير من الأحداث التي دارت على الساحة، خاصة وأنه كتب بقلم شاهد عيان"

[الوثيقة]



إننا نعلم الآن ومن قراءتنا للفصل السابق أن بيدرو تينخسيرا قضى زمنا طويلا في هرمز تعلم فيه اللغة الفارسية وترجم ملحمة توران شاه (١) - (ملوك هرمز) وملخص تاريخ فارس (مخطوط ميرخوند). عندما عاد رحلتنا إلى البرتغال في ١٦٠١م أحضر معه التراجم المذكورة ولكن . . وبسبب عودته السريعة مرة أخرى إلى الهند لأمر ماليه نخصه لم يستفد العالم من هذه الأعمال إلا بعد عدة سنوات حيث استقر في النهاية في مدينة أنتويرب الأسبانية آنذاك ١٦٠٥ - ١٦٠٩م ونشر ما كتبه عن ملحمة ملوك هرمز وتاريخ ملوك فارس إلى فترة دخول العرب إليها. وذلك بعد حصوله على تصريح بذلك. واستجابة لبعض الأصدقاء قام بنشر تاريخ ملوك فارس باللغة الأسبانية بدلا من البرتغالية. وأضاف إليه كتابا آخر وبلفس اللغة عن رحلاته وأسفاره حتى أبريل ١٦٠٩م.

في عام ١٩١٠م خرج كتاب تينحسيرا إلى الناس عامة بمقدمة جميلة تذكر أسفاره ومحتوى الكتاب وقد لاقى هذا الجهد استحسان القراء واستخدم الكتاب كمرجع لهم عندما كتبوا عن الشرق وخاصة فارس . وبعد وفاته بفترة قصيرة خرج كتابه مرة أخرى بلغة ثانية (الفرنسية) وفي النهاية جاءت الترجمة الإنجليزية بواسطة الكابتن جون ستيفنز .

كانت ترجمة ستيفنز مجزأة غطى الجزء الأول منها الفترة (١٦٠٠ - ١٦٠١م) و (١٦٠٣ - ١٦٠٥م) من أسفار تينحسيرا ونشرت هذه الترجمة في سلسلة مقالات شهرية في مجلة [المجموعات الجديدة للرحلات والأسفار] والمطبوعة في لندن في بداية ديسمبر ١٧٠٨م واستمرت إلى عام ١٧١٠م .

هذه المجموعة من المقالات أعيدت طباعتها مرة أخرى في ١٧١١م وكانت هذه المقالات تحمل عنواناً مثل "رحلة بيتر تينحسيرا من الهند إلى إيطاليا عن طريق البر" أما باقي الترجمة (ترجمة ستيفنز) فقد عادت للظهور في سنوات تالية في كتاب تزين غلافه

مناظر ترمز إلى تاريخ فارس - ويحمل عنواناً طويلاً هو "تاريخ فارس الحاوي على سيرة وأعمال ملوكها منذ نشأة الملكية حتى يومنا هذا" شرح مفصل للمناطق الفارسية ووصف للهند والصين وبلاد التتار وكرمان وجزيرة العرب ونيسابور وجزر سيلان والتيمور والمدن الكبيرة مثل شيراز ، سمرقند ، بخارى ، وعادات وطباع الفرس من عبدة الناس ، والأشجار والحيوانات والمنتوجات التجارية . وصف لطرق دفن الموتى الغربية وحرق الموتى ، ومشروبات الدول المختلفة ، والصيد البري والبحري ، والفيزياء وأشهر الأطباء في الشرق ، ومنجزات تيمورلنك ، وملخص ملوك هرمز ، وتاريخ فارس المكتوب بالعربية بواسطة المؤرخ الفارسي الشهير (ميرخند) وتاريخ هرمز الذي كتبه توران شاه ملك جزيرة هرمز ومترجم إلى الأسبانية بواسطة "أنطونيو تينحسيرا" الذي قضى عدة سنوات في فارس والهند ، وقد ترجمت هذه الأعمال إلى الإنجليزية الآن بواسطة الكابتن جون ستيفنز في لندن" . والذي يحاول إضافة تاريخ فارس حتى بداية القرن الثامن عشر . أما تينحسيرا فإنه يعطي شرحاً

موجزًا لمقاطع فارس وشجرة أنساب ملوك الفرس مع شرح مطول عن تاريخ هرمز .

أما في الكتاب الثاني فإن ستيفنز استطاع اختصار الفصول في كتاب تينحسيرا (تاريخ فارس) من تسعة وخمسين فصلاً إلى ثمانية وأربعين ، ولذا نجد أن إعادة فهرسة كتاب تينحسيرا أصبحت كالتالي :

١ - ترجمة مختصرة لمخطوط ميرخوند (تاريخ فارس) ورغم احتواء تلك الترجمة على عدة أخطاء إلا أن الفضل يعود إلى تينحسيرا في تعريف العالم الأوروبي بهذا الفرع من المعرفة .

٢ - ترجمة مختصرة أخرى للشاهنامة (المفقودة) والتي كتبها توران شاه ونقلها تينحسيرا وله يعود الفضل مرة أخرى حيث أنها الوحيدة الموجودة الآن . ولقد اعترف بفضل الباحث السير هنري يول (Sir Henry Yule) وأكد أهميتها .

٣ - ملخص لأسفاره ١٦٠٠ - ١٦٠١م و ١٦٠٤ - ١٦٠٥م والتي نستشف منها أنه كان ذا عيون راصدة ، وشديد المراقبة ، ودقيق في التسجيل والنقل .

٤ - مجموعة من المعلومات أدخلها تينحسيرا في كتابه (ملوك فارس) رغم عدم ترابطها مع موضوع الكتاب واحتوائها على معلومات عن طبيعة آسيا وأفريقيا والأصول السكانية فيهما والتاريخ الطبيعي والدوائي وملاحظات شخصية أخرى ، سواء شهدها أو نقلًا عن رواة آخرين ولكن جميعها ذات فائدة للدارسين .

لقد كانت وفاة السيد دبليو إف سينكلير (W. F. Sinclair) سبباً في عدم اكتمال الترجمة الأخرى لكتاب تينحسيرا ولكننا نستطيع أن ننقل رأيه من الأوراق التي تركها لنا حيث يقول في يناير ١٨٩٩م :

"إنني أنظر إلى تينحسيرا على أنه كان شاهداً ممتازاً ومراقباً ثاقب النظر ، ولكنني لا أستطيع أن أجزم - حالياً على الأقل - وأؤكد حقيقة كل ما كتبه (رغم ثقته الشخصية الكاملة) ولكن ورغم ذلك فقد ترجمت أسفاره دون حذف أي شيء منها .

لقد قمت بترجمة الشاهنامة الخاصة بتوران شاه لأنها النسخة الوحيدة الآن .

في مايو ١٨٩٩م يؤكد "أن
تينحسيرا كان حريصاً ودقيقاً كما هو
متوقع اليوم من الرجال أمثاله".

إنني أقدم كل اعتذاري للدارسين
والباحثين إذا ما وجدوا أن الأسماء
الترجمة غير مقبولة حيث أنني قمت
بالترجمة من العربية والفارسية وحاولت
أن أعطي الأسماء قدراً كبيراً من الاهتمام
لتتطابق الواقع والمسميات الأصلية.

أما بالنسبة (الملوك الفرس) فإن
قيمته الآن أصبحت دون الترجمة
الموجودة لكتاب (روضة الصفا). "

يعود السيد سينكلير ليكتب في ٢٣
يناير ١٨٩٩م قائلاً "إنني أعتبر
تينحسيرا من الرحالة الأوائل في
العالم".

وفي فبراير من نفس العام يضيف
قائلاً "أنه مسافر محظوظ لأنه احتفظ
بأجزاء بسيطة من الشاهنامة المفقودة في
هرمز".

مقدمة جون ستيفنز لكتب بيدرو تينحسيرا

(ملوك فارس) و(ملوك هرمز) المترجمة

مع مقدمة كاملة لكل الأعمال

تعتبر فارس الآن ولعدة قرون مضت من أعظم الإمبراطوريات الشرقية ، ومع ذلك فإن المعلومات المتواجدة عنها (وباللغة الإنجليزية) تكاد تكون مجزأة ومحدودة - فهناك عدة مقالات عن هذا الجزء من العالم كتبت بواسطة الرحالة وتناولت حياة الناس وطبيعة البلاد وآخر الملوك الفرس ، هذا إلى جانب معلومات محدودة في التاريخ التركي وكتب أخرى تذكر دخول التتار إلى فارس . أرجو أن يسمح لي القارئ لعدم وجود الفصلين الأول والثاني والخاصين برحلة تينحسيرا من الهند إلى إيطاليا لذا سوف أترجم الفصل الثالث .

الفصل الثالث

كيف سافرت من هرمز ووصلت إلى أعالي الخليج

وعبرت دجلة والفرات إلى مدينة البصرة

هذه المرة توجهنا في مسار بحري مقابل لجزيرة قشم وبمحاذاة نفس الساحل مثل المرة السابقة وتجاوزنا المياه الضحلة (الخان)^(٢) وبعدها إلى قلعة (ريشل)^(٣) في المنطقة المشهورة بالخبز والفواكه والخضار ، وتتبع هذه القلعة

قمنا بالاستعداد مرة أخرى والتزود في هرمز مرة أخرى وابتدأنا سفرنا في ١٧ يونيو آملين في رحلة موفقة هذه المرة ، قد أكدوا لنا أن الرياح الجنوبية الغربية أقل سرعة ومتقطعة الآن - وبالفعل وجدنا الفرق ولكن ليس بالصورة المؤملة .

الملك أو الشاه الفارسي وهي محصنة ويقيم فيها العساكر - ومن هناك توجهنا شمالاً إلى (ريخ سيف الدين)^(٤) والمقصود به رمال سيف الدين ، وتسكن هذه المناطق الجماعات العربية والمالية لشاه الفرس ولكنهم يعترفون ويتعاملون مع البرتغاليين ويحملون معهم أوراقهم الخاصة ، أو جوازات سفرهم وإلا تعرضوا للهلاك بواسطة السفن البرتغالية .

لقد كانت العلاقة بين رجال (بندر ريخ) والبرتغاليين سيئة جداً وذلك بسبب حوادث سابقة . لذا وجدنا السكان قد هربوا عندما شاهدوا الغلايين المرافقة لنا .

وتقع جزيرة خرج في موقع مقابل لبندر ريخ وعلى بعد ثلاثة فراسخ (تسعة أميال) من الشاطئ وتعتبر ملجأ جيداً ضد الرياح الشمالية الغربية - وتغطي مساحة كبيرة منها الجبال الصخرية ، مع توافر المياه ، وبها أشجار النخيل ومزارع البصل وكثير من الأغنام والماعز ، وتصدر منتجاتها إلى البصرة .

يعتبر أهالي جزيرة خرج من الأعراب الموالين لشاه فارس .

لقد توقفنا في هذه الجزيرة في ٢٥ يوليو ولمدة أربعة أيام بسبب الرياح . وعلى الساحل المقابل تقع المناطق المرتفعة من الأراضي الفارسية والتي تتجه عند هذه النقطة إلى محاذاة الساحل وتعود لتختفي مرة أخرى إلى الداخل كلما بعدنا عن هذه الجزيرة إلى أن نصل إلى مناطق دونها مستوى اليابسة ونكاد لا نراها مرة أخرى .

وعند عبورنا بندر ريخ ، أو ريخ سيف الدين ورشتل ، شاهدنا مصبات الأنهار فيها^(٥) .

اتجهنا غرباً بعد ذلك وفقدنا اليابسة ليس لبعدها ، لكن بسبب انخفاض مستواها عن البحر - ومن هنا كان قبطان سفينتنا من أهالي جزيرة خرج ورغم أنه قبطان معروف ومشهور بمعرفته للمسارات الضيقة ، إلا أنه كاد أن يجنح بسفينتنا إلى اليابسة في منطقة تسمى (الخراب)^(٦) ويقال أنها كانت مدينة قديمة قد غطاها البحر، وكان عرض المنطقة المذكورة أربعة فراسخ ولكن عبورها يحتاج حيطة كبيرة وسفينة في المقدمة للتأكد من عمق البحر .

في أول أغسطس وصلنا إلى شط العرب ويسمي العرب النهر المشهور بـ [الشط] والنهر الأصغر [خور] أو [ود] . لذا نجد في الأسبانية [ود الكبير] و [ود يانا] وهي تعني نفس الشيء .

هذا الشط ناتج عن التقاء دجلة والفرات في منطقة القرنه ، ومنها وعلى بعد ثلاثة أيام تقع البصرة .

وفي القرنه وجدنا قلعة تركية تتحكم القوات المقيمة بها بالمسارات المائية القريبة منها والتي تتوزع إلى الشمال والجنوب ، علماً بأن المناطق الشمالية تابعة لمبارك بن مطلب الزعيم العربي والمعادي للأتراك وتقع أراضيها في المناطق الفارسية ولكنه يطالب بها وبالبصرة أيضاً .

هذا إلى جانب وجود مدن متميزة في منطقتيه مثل الحويزة والدورق والمجدم ، هذه المدن تحيط بها مناطق زراعية واسعة ولكن لا يعتني أحد بها خوفاً من هجمات الأتراك ، أما المناطق الجنوبية والواقعة في مناطق النفوذ العربية فهي تمتاز بنخيلها وبساتينها .

ينحني النهر عند مصبه حنية كبيرة ولكنه يعود إلى مجراه الطبيعي قبل نهايته ويكاد يغطي مساحة ميلين

في العرض وستة أبواغ في العمق مع اختلاف المنسوب المائي وسرعة تدفق المياه من موسم إلى آخر . وتمتاز هذه المناطق سواء الشمالية أو الجنوبية بكثرة الطيور من الأوز والحباري ، والخنزير البرية ، وينتقل سكانها بين جزء وآخر على جلد الحيوانات المنفوخ .

وعند وصولنا إلى هنا جاء الكثير من السكان العرب على الجلود المنفوخة إلى محاذاة سفينتنا بقصد بيع الدجاج والبيض والزبد والتمر وأشياء أخرى رخيصة جداً .

ورغم قوة الرياح العاكسة فقد استطعنا دخول النهر ، وبعد ثمانية أو تسعة فراسخ وجدنا أن مسارنا المائي قد انقسم إلى اثنين متساويين ومتوازيين ينحدر أحدهما جنوباً خلال جزيرة العرب إلى أن يصل إلى القطيف قرب البحرين^(٧) .

أما المسار الآخر فهو أعمق وأوسع من الآخر ، ومجرى الماء فيه أقوى ، وبعد مسير مسافة صغيرة في هذا المجرى واجهتنا جزيرة صغيرة مليئة بأشجار النخيل^(٨) .

في ٦ أغسطس في الثامنة صباحاً
وصلنا إلى سيرا^(٩)ج حيث تستخدمها
السفن في إفراغ حمولتها .

توقفنا في سيرا^(٩)ج بقرب قلعة الأتراك
في ضاحية مباركة وللأتراك قلاع كثيرة
على المسارات المائية لحماية جنودهم
من هجمات الأعراب . ولسد احتياجات
ومصروفات الحامية وغيرها .

توجد في هذه القلعة ترسانة
للأسلحة والمدافع ومجموعة من السفن
الصغيرة وغير المتقنة الصنع ، وإنني لا
أعتقد أن هذه السفن والأسلحة وجدت
لتكون ضد البرتغاليين ولكن وجودها
للسيطرة على العرب الثائرين ضد
الضرائب الباهظة - ولقد تم إنزال
سفينة جديدة أثناء تواجدي في البصرة
وإنني أعتقد أن صغر حجم هذه السفن
ناتج عن عدم تواجد الأخشاب
وغلاء ثمنها .

ويعبر سكان القلعة القناة المائية
على جسر خشبي محمول على ثماني
سفن صغيرة وفي المناطق الأخرى بواسطة
سفن صغيرة استخدمت فيها قطع
الأخشاب الصغيرة والمختلفة ورغم ذلك
فهي تسرب الماء حيث أنها مدهونة
بالقار .

تمتاز مدينة البصرة بتمورها الجيدة
والمتنوعة ومنها تصدر إلى بغداد وموانئ
فارس وهرمز وتعتبر غذاءً رئيسياً فيها .

وكذلك الخضار والفواكه والحبوب
والأرز وأسعارها منخفضة نتيجة تنافس
المستوردين من بندر ريخ والدورق - هذا
إلى جانب جميع أنواع المواشي
والأسماك النهرية التي لم أستسغ
طعمها .

وتعتبر البصرة عاصمة التجارة
ومحطة التجار القادمين من فارس
والبحرين والأحساء و الهند عن طريق
هرمز و بغداد ، وللأسف تكثر فيها
العقارب و رأيت أحدها بحجم سمك
السرطان النهري .

وهواء البصرة غير نقي وغير صحي
ومناخها حار جداً وسكانها أغلبهم من
الأتراك والعرب مع أن الغالبية من
السكان الأصليين من العرب .

يتم الانتقال البري في البصرة
بواسطة الجمال والبغال والخيول
والحمير ويصدر بعضها إلى هرمز ومنها
إلى الأسواق الهندية .

لقد وجدت بعض منازل البصرة في
حالة سيئة وتنقصها بعض الجدران وتم
بناؤها على عجل وذلك لأنه ومنذ عدة

أيام وقع انفجار كبير في مخزن للبارود ويعتقد أن ألف كيس من البارود احترقت وهزت بيوت المدينة بشدة حتى أن الناس ظنوا أن نهاية العالم قد اقتربت ، وتأثرت بهذا الانفجار مباني المدينة والتي ربما مضى عليها مائتا عام .

لقد استولى الأتراك على هذه المدينة منذ خمسين عاماً (١٥٤٦) بعد أن حكمها طاغية عربي .

ليس هناك الكثير أستطيع ذكره عن عادات الناس وملابسهم حيث أنهم عرب وأتراك - ويتعامل الناس بكل أنواع النقود من الفضة والذهب مع أن العملة المضروبة محلياً من الفضة والنحاس .

أما العملة الفضية فتسمى اللاريه (نسبة إلى مدينة لار في فارس وقد ضربت أول عملة بهذا الشكل فيها) فهي عملة مستطيلة متينة الطرفين وتساوي في الوقت الحاضر عشرة بنسات .

أما العملة الثانية فهي مستديرة وتسمى (شاهي) وتشابه عملتنا الريال ولكنها أقل إتقاناً من العملة الفضية .

ليس في البصرة مبان ذات أهمية ولكنها تحتوي على عدة حمامات أهلية نظيفة في حالة جيدة ومريحة ويستخدمها الرجال في الصباح حتى منتصف النهار والنساء من الظهر حتى الغروب ويعاقب من يخالف هذه المواقيت .

تخترق القناة الصناعية أرض البصرة وتروى منها البساتين على الطرفين وأخبرني أحد المعمرين أن هذه القناة كانت تصل إلى ثلاثين فرسخاً داخل البصرة لكنها أقصر من ذلك الآن .

في أحد الأيام دعيت إلى مقابلة أحد شيوخ البصرة وكان هذا الشيخ يملك كثيراً من الأراضي التي مررت بها بعد ذلك . وكان يدعى الشيخ محمد بن رشيد وكان رجلاً يستحق مركزاً أعلى مما هو فيه .

ولقد حدثني هذا الشيخ بواسطة مترجم وأخبرني أنه لم يشاهد افرنجياً من قبل (اسم يطلق على المسيحيين الأوروبين آنذاك) وقد تعجب لمظهري وملابسي وتصرفاتي ، وبعد وجبة من لحم الخراف (غير المطبوخ جيداً) استأذنت في الانصراف وفي طريق عودتي

قام ركاب السفينة بالصلاة بعد أن مررنا
قرب مبنى صغير يشبه الصومعة .

غادرت السفينة في مباركه وعدت
إلى اليابسة عن طريق قناة يجري فيها
ماء عذب وأعتقد أن عمقها كان باعين
أو ثلاثة وعلى جانبيها بساتين النخيل
والخضار، وبعد مسيرة فرسخ واحد
وصلت إلى البصرة .

البصرة مدينة عربية على بعد ميلين
جنوبي نقطة التقاء دجلة والفرات
وتتصل بهما عن طريق قناة العشار .

تقع هذه المدينة في منطقة مستوية
من الأرض وتحتوي على عشرة آلاف
مسكن بما في ذلك المساكن الواقعة داخل
أسوارها ومساكنها كبيرة ولكن ينقصها
الجمال المعماري ومبينة بالطوب
المحروق الذي لا يبقى أكثر من ثلاث
سنوات في الغالب .

أما بيوت السكان الفقراء فهي
مبنية من البوص والسعف . أما قلعة
البصرة الكبيرة فهي في حالة غير مصادة
وقد تهدمت أغلب جدرانها ، ولكن لا
يزال الخندق المحيط بها على حاله
ومن الممكن أن يمتلئ بالماء من القناة
القريبة ، ولقد وجدت أن أغلب مساكن
البصرة داخل قلعتها وكذلك قلب المدينة
وشوارعها التجارية ومحلاتها المهنية -
وحاميتها المكونة من ثلاثة آلاف رجل
أغلبهم من العرب والأتراك والأكراد
فرساناً وحملات بنادق وقصر الباشا حاكم
القلعة في السلم والحرب ونقطة جمارك
تجمع منها الضرائب .

وأخبرت بوجود مزار لعيسى بن
مريم روح الله وأن المزارع المحيطة به
وقف لصيانتته ورعايته وتعجبت من ذلك
حيث أنني لم أتوقع أن يخصص القوم
له مزاراً^(١٠) .

ملخصات



الملخص الأول

تاريخ مختصر لنشأة مملكة هرمز وملوكها

حتى دخول البرتغاليين

نقلا عن التاريخ المكتوب بواسطة توران شاه ملك هرمز

ملك يحكمها ويترك الخيار للقارئ في الأخذ بالنظرية المقنعة والتي تناسب ذوقه الأدبي والتاريخي .

ويبدأ توران شاه قائلاً "في البداية كان هناك أمير عربي يسمى محمد درام كوبا (كتبت هكذا) وهو من أحفاد مملكة سبأ حيث كانت بلقيس التي قامت بزيارة سليمان .

لقد أراد هذا الأمير زيادة ملكه (كما هو حال الملوك) فقام بإخضاع الدول المجاورة له وواصل مسيره حتى وصل إلى الساحل المقابل للمضييق الذي

أجاد الملك توران شاه الشعر والنثر الفارسيين واستخدم هذه المقدرة الفائقة في كتابة تاريخ نشأة مملكة هرمز وبداية ملوكها - ولقد أطلق على مخطوطه (الشاهنامه) .

تاريخ الملوك - مبتدئاً بآدم. ولكن سوف أحذف بعض الصفحات من هذا المخطوط وأدخل في الموضوع المطلوب وهو نشأة المملكة وتاريخ ملوكها مع إبقاء ما هو مهم وحذف المادة عديمة الأهمية .

يذكر توران شاه وجهات نظر مختلفة عن نشأة المملكة وتاريخ أول

نطلق عليه نحن البرتغاليين (مضيّق هرمز) وهنا طلب هذا الأمير من أتباعه العبور معه إلى أرض فارس حيث ينوي إنشاء (بندر) يكون أعظم من صحار (الميناء العربي على الجهة الغربية من مضيّق هرمز والذي كان في يوم من الأيام عامراً وقد أصابه الدمار والخراب الآن) .

وبعد أن استشار الأمير محمد أتباعه توجه إلى قليهات الميناء العربي على الخليج والواقع قرب رأس الحد ومن هنا عبر هو وأتباعه إلى جسك ومنها توجه شمالاً إلى كوهستاق (ميناء على الساحل الفارسي) وترك الأمير محمد ابنه ووزيره في قليهات واخبرهم في حالة فشله أن ينشئوا ميناء فيها .

عندما وصل الأمير محمد إلى كوهستاق وأنزل رجاله من أجل البحث عن مكان مناسب له أخبره الناس عن مكان غير بعيد يسمى هرمز وهو المكان المناسب لمشروعه القادم .

وجد الأمير أن المكان مناسب فاستقر فيه وبنى المدينة ويعتقد أنه هو الذي سماها هرمز ووزع الأراضي على مرافقيه وضرب العملة التي حملت اسمه (درامكو) .

رافق الأمير محمد ابنه سليمان والذي بفضلله اتسعت المدينة وزادت خيراتها .

حكم الأمير (الشاه محمد) بالعدل والحزم وكانت حكمته وسمو صفاته سبباً لتحالف حكام المناطق المجاورة (مثل شيراز وكرمان) معه .

توفي الشاه محمد بعد عدة سنوات من إنشاء هرمز وحكم بعده ابنه سليمان .

أما رواية توران شاه الثانية فهي كما يلي :

لقد كان والد الشاه محمد ملك في الجزيرة العربية وقد خسر معركة ضد أعدائه واضطر لذلك لترك جزيرة العرب فعبر مياه الخليج الى مغستان (منطقة شرقي هرمز) واستقر هذا الملك مع ابنه في ذلك الموقع الذي كان يحكمه حاكم طاغية... وهنا تدخل بعض القصاص المتداولة عن تخفي الابن في لباس عروس جميلة ودخله القصر والقضاء على الطاغية وذلك بعد موافقة الأهالي وانتصار الشاه محمد وتولييه الحكم .

ويعود تينحسيرا إلى الرواية الأولى ويكمل بقوله :

قات والتي تقع في فارس في أراضي إبراهيمي^(١١) ومغوستان .

لم يمنع ذلك شهاب الدين من أن يقوم بالمؤامرة على قتل الشاه محمد ولذا قام الأخير بإعطاء التعليمات لقتل قطب الدين الذي ما أن بلغته الأخبار حتى هرب إلى قلعة سيجون وتزوج من ابنة قائدها وولدت له ولداً سمي نصرت ركوب دار وابنة سماها ست الخاتون .

توفي الشاه محمد في هرمز دون أن يناله أحد .

تولى ابنه الشاه محمود من بعده وكان يسمى شاهنشاه وواصل البحث عن شهاب الدين إلى أن مرت عدة سنوات قامت بعدها مجموعات من أرض (صير) بمهاجمة هرمز^(١٢) خرج شاهنشاه في جيشه لمواجهة الأعداء .

عندما بلغ الخبر مير شهاب الدين عقد الصلح مع ابن عمه وطلب الإذن من والد زوجته متوجهاً هو ورجاله إلى هرمز لمساعدة شاهنشاه وعندما قتل شاهنشاه في المعركة مع الأعداء نوذي بشهاب الدين ملكاً على هرمز .

انتصر شهاب الدين على أعدائه واستخلص منهم مملكته - بعدها زوج ابنته ست الخاتون إلى الأمير سيف

حكم الشاه سليمان بعد والده محمد مدة طويلة تميزت بالعدل والكرم والأمن وتوفي بعد سنين طويلة من الحكم لمملكة هرمز. وتولى ابنه عيسى الحكم وكان عادلاً مثل أبيه ونصح رعاياه بزراعة الأرض ووسع ملكه وتوفي تاركاً الحكم لابنه - لاشكري- والذي رعى الفقراء وامتاز مثل والده بالعدل وظهرت عليه علامات الإمارة فترك والده الحكم له وقضى باقي أيامه في عزلة تامة إلى أن توفي .

كان لاشكري بن عيسى مثل والده حكيماً عادلاً وترك بعد وفاته ابنه عيسى الثاني حاكماً لمملكة هرمز وكان عيسى الثاني سادس حاكم لهذه المملكة .

امتاز عيسى الثاني بحروبه وتوسعاته والتي أدت إلى اتساع رقعة مملكته وكبر شأنها .

بعد وفاة عيسى الثاني جاء محمد وكان له أولاد كثيرون ومنعاً للصراع من أجل السلطة قام السلطان بتوزيع أقاربه وأولاده على مناطق مختلفة وفي قلاع محصنة لا يتركونها إلا بإذنه .

لذا نجد أن الشاه محمد أرسل ابن أخيه مير شهاب الدين مالئك إلى قلعة

الدين بن قيصر بن علي (أخ شهاب الدين) والذي كان حاكماً لجزيرة قيس (١٣).

توفي علي بعد ذلك في قيس وعملاً بنصيحة شهاب الدين توجه الأمير سيف الدين (زوج ابنته) إلى قيس ليتوج ملكاً عليها .

توفي بعد ذلك شهاب الدين واستولى وزيره الرئيس شهریار على زمام الملك في هرمز .

وبوفاة شهاب الدين ثار أهالي جزيرة قيس ضد حاكمهم الأمير سيف الدين الذي هرب إلى هرمز وأخرج أهاليها لاستقباله توجه الوزير شهریار إلى قلعة (ضمير) مع عشرة من رجاله وواصل الأمير سيف الدين زحفه عليها وقتل الجميع فيها فنودي به ملكاً على هرمز .

كان أول عمل قام به الأمير سيف الدين تزويج بنات شهریار الثلاث إلى ثلاثة رجال من بلاطه وبعدها هجم على جزيرة قيس لينتقم من أهاليها وقتل الكثير منهم وأخذ زعماءهم رهائن معه . وفي طريق عودته توقف في جزيرة جرون أو قرون (والتي تسمى الآن جزيرة هرمز) ودخل إلى اليابسة وتسلق جبلاً

هناك قتل عليه رهائنه ولذا سمي هذا الجبل (جبل الرجال القتلى) (أو كوة كوشتاران) وعاد بعدها إلى هرمز واستقر بها في أمن وسلام إلى أن توفي وتولى بعده (ابن أخيه) المسمى شهاب الدين محمود .

كان شهاب الدين (ابن عيسى الثاني) الملك الحادي عشر لمملكة هرمز وكان عادلاً ورحيماً في حكمه .

بعد وفاة شهاب الدين محمود تولى (ابن أخيه) المسمى ركن الدين محمود (ابن حمد) السلطنة وقد ازدهرت هرمز أثناء فترة حكمه وكان لها جيش قوي كتبت له الانتصارات في عدة معارك والتي امتدت إلى ظفار وحكم ركن الدين محمود خمسة وثلاثين سنة وتوفي في ٦٧٦ هـ الموافق ١٢٨٧ م .

تولى الأمير سيف الدين نصرت (ابن ركن الدين) والحاكم الثالث عشر لمملكة هرمز السلطة بعد وفاة أبيه ولكن قامت معارضة قوية بين اخوته لتوليها السلطة وقاد هذه المعارضة أخواه الأمير قطب الدين تهमतان والأمير نصر الدين فولاد ورغم وقوف الجنود إلى جانب سيف الدين نصرت إلا أن اخوته انتصروا عليه واضطر هو ووالدته (بيبي

عليه وقتلاه وقتلا معه أمه بيبي بانك وأخته بيبي عنايتي .

وكانت مدة حكمه اثنتا عشرة سنة وقتل في ٦٨٩ هـ الموافق ١٢٩١ ميلادية .

تولى الأمير مسعود زمام السلطنة بعد مقتل أخيه سيف الدين وكان شديد البأس يحب الحروب وظالم كرهه كل الرجال وقتل الكثير منهم .

التجأ الكثير من رجاله إلى الأمير بهاء الدين عياض سيفين (الوزير المعين في ميناء قليهات بواسطة الملك سيف الدين نصرت لإخلاصه ووفائه) وفي هذا الميناء العربي توجه الأمير بهاء الدين وجيشه إلى هرمز وطرد منها الأمير مسعود فخرج لاجئاً إلى كرمان ومنها إلى سیرجان (الاسم الآخر لكرمان) حيث قضى فيها بعد أن حكم هرمز مدة ثلاث سنوات .

تولى الأمير بهاء الدين سيفين أمور المملكة وأعاد تنظيمها وإدارتها ولكن قام أخوه مسعود لمقاومته وخرج له مير طور خان شاه ومير سلجوت في حزب معارض له وتراسلوا مع أخيهام مسعود من أجل إعادته إلى هرمز ولكن تمكن منهم الأمير بهاء الدين وقتلهم فاستقر له الحكم بعد ذلك إلى أن دخلت القبائل

بانك) إلى مغادرة مملكة هرمز وتوجهت بيبي بانك إلى كرمان حيث قابلها السلطان جلال الدين سراج والذي أحسن معاملتها وأرسل جنوده مع ابنها سيف الدين وأعادته إلى عرشه في مملكة هرمز ومع استمرار مقاومة أخويه استطاع سيف الدين اعتقال أخيه الأمير نصر الدين فولاد وأعدمه .

وبعد هذه الحادثة قام أخوه الثاني الأمير قطب الدين تهماتان وبمساعدة مالك بن سيف الدين أبوبكر العوفي بغزو هرمز ومحاربة سيف الدين نصرت وهزيمته في (دنو)^(١٤) مما أدى إلى هرب سيف الدين إلى (قمصره)^(١٥) ومن قمصره إلى (لفت) والتي هي ميناء بحري في جزيرة بركت ؟ وتسمى الآن قشم أو الجسم .

بعد هرب سيف الدين اختلف مالك مع قطب الدين تهماتان فثار الناس والجنود واستدعوا سيف الدين ليحكم من جديد مملكة هرمز ويطرد مالك سيف الدين منها .

بعد عودة سيف الدين إلى السلطة قام اثنان من باقي اخوته (الأمير مسعود والأمير طورخان شاه) بالتآمر

التركية الغازية أرض فارس في ٧٠٠ هـ الموافق ١٣٠٢م ودمروا كرمان وهرمز وكانت ثروة هرمز العظيمة سبباً في عودة الأتراك المتكررة لمهاجمتها حتى اضطر أهلها لتركها نهائياً إلى مناطق أخرى .

ويعتقد هامر برجستال (Hammer Pargstall) بعد دراسة مخطوط (عبد الواصف) بأن مملكة هرمز كانت تابعة لسلفر أتابك فارس وبعد سقوط آخر أتابك (محمد تلهاتي) قام حاكم هرمز بالاستيلاء على الجزيرة وأعلن نفسه حاكماً على المملكة. وقام ابنه نصرت بقتل أخيه ركن الدين وزوجته وقام ملك بن بهاء الدين غيات (أحد مماليك الزوجة) بالانتقام لسيدته وساعده في ذلك جلال الدين ملك كرمان، ولكن في النهاية هرب بهاء الدين إلى جزيرة قيس وقابله المفتي جمال الدين مفتي فارس وأعطاه اثنتي عشرة ألف قطعة من الذهب (من إيرادات التاج الفارسي) وذلك لتشكيل جيشه الجديد وبعد هزيمة مسعود توجه إلى جزيرة لارك وجمع ألفين من التوامين الذهب والفضة وأشياء أخرى ثمينة وتوجه إلى هرمز ونادى على المنبر باسم فخر الدين أحمد بن إبراهيم العتيبي وقام المفتي جمال الدين الشيرازي (والذي ذكرنا

اسمه سابقاً والذي هو جامع ضرائب فارس) بالتوجه إلى هرمز حيث قامت اضطرابات بينه وبين فخر الدين حاكم الجزيرة وتحولت هذه الاضطرابات إلى مواجهات عسكرية بينهما .

لم يتدخل بهاء الدين غيات لمساعدة صديقه السابق (جمال الدين) ولكنه ساعده في النهاية على الهرب من الجزيرة بعد هزيمته .

في السنة التالية (١٥ يوليو ١٢٩٦م) وعندما أصبح جمال الدين مسئولاً عن ضرائب فارس وسواحلها وجزرها دخل هرمز مرة أخرى على رأس جيش عظيم وطلب من بهاء الدين إخلاء الجزيرة .

وقام المفتي بمساعدة ركن الدين مسعود بحشد قواتهما ولكن تصدى لها بهاء الدين غياث وهزم بهاء الدين السفن الحربية الخاصة بالمفتي وركن الدين ولاحقها إلى جزيرة قيس وقام بنهبها. لقد أثر ذلك في ملك الإسلام (المفتي جمال الدين) وازداد قلقه للسفن التي تصل من الهند مع الرياح الموسمية لذلك عقد المفتي الصلح مع بهاء الدين غيات وفخر الدين العتيبي .

دون أخذ إذن من حاكم جزيرة قيس الذي كانت هذه الجزيرة والجزر الأخرى في الخليج تابعة له .

وجزيرة قيس كما يسميها العرب والفرس هي جزيرة صغيرة تقع وسط مضيق البصرة وبها منابع الماء وكثرة الأخشاب وكانت إلى وقت مضى مركزاً للمملكة - ولكن كسدت تجارتها الآن بسبب اللصوص القادمين من نخيلو ونخل تقي والذين يقومون بأعمال القرصنة في المياه المجاورة لجزيرة قيس والتي أدت إلى تدهور التجارة التي كانت تعادل تجارة هرمز في وفرتها وضخامتها معين كان ملك جزيرة قيس وحكم جزيرة قارون أيضاً وعين فيها شيخاً للدين يسمى الشيخ إسماعيل من قرية قرب لار وكان هذا الشيخ يطوف بالجزر المحاذية سنوياً لجمع الهبات له وللفقراء في بلدته .

وبعد لقائه بغيث قام الأخير بإرساله إلى حاكم قيس يطلب منه بيع جزيرة قارون أو إعطاءها لغيث دون مقابل استطاع الشيخ إسماعيل الحصول على الجزيرة لغيث وأهالي هرمز هبة من معين إليهم ولكن أصر غياث على دفع ثمن الجزيرة نقداً واعتراضاً بفضل

تبدو هذه المعلومات مشوشة ولكن تم نقلها كما هي مكتوبة بالإنجليزية .

جزيرة قشم :

=====

تقع جزيرة قشم بمحاذاة الساحل الفارسي يفصلهما مسار ضيق من بحر الخليج ، ويبلغ طول هذه الجزيرة خمسة وعشرون فرسخاً وعرضها اثنان إلى ثلاثة فراسخ .

لقد أمر غياث أهالي هرمز بالعبور إلى هذه الجزيرة واستجابوا له بكل طاعة ونقلوا معهم كل ما استطاعوا حمله وما تبقى من ممتلكاتهم بعد غزوات الأتراك .

وبعد استراحة عدة أيام قرر غياث البحث عن جزيرة أخرى ووصل إلى جزيرة فاصله على بعد فرسخين من قشم تسمى جزيرة قارون (حيث كان يسكنها رجل مسن وزوجته يصطاد السمك ويبيعه لركاب السفن المتوجهة من جزيرة قيس إلى الهند، مقابل الأرز والملابس) .

أرسل قارون إلى غياث برغبته في جزيرته ووصل غياث إليها وبعد معاينتها استقر الرأي على السكن فيها

الشيخ إسماعيل أصبح من عادات ملوك
هرمز إعطاء أحفاده مصروفاً سنوياً (وقد
شاهدت ذلك أنا بنفسى أكثر من
مرة) .

وبعد أن امتلك غياث جزيرة قارون
أطلق عليها اسم جزيرة هرمز لكن لا
ينسى الجميع مملكتهم هرمز. ولكن
بقيت هذه الجزيرة في ذاكرة العرب
والفرس جزيرة قارون - وكذلك لم تفقد
هرمز الأصلية اسمها رغم إطلاق الاسم
على الجزيرة بعد استقرار أهالي الأولى
فيها .

ولكن يروي باروس (Barros)
قصة مختلفة عن جزيرة قارون حيث
يقول :

"إن ملك قيس كان موافقاً على بيع
جزيرة قارون إلى (غوردن شاه) ولكن
رفض بعض أتباعه وزوجته عملية البيع
بحجة أن هذه الجزيرة تتحكم في مدخل
المضيق ولكن تدخل القاضي (الشيخ
دينار) (وتعني هنا مفتي قيس) فقام ملك
قيس بعد مجابهة عنيفة مع زوجته
بإعطاء الجزيرة إلى غوردن شاه .

ويقول باروس "أن الرشاوى لعبت
دورها إلى جانب إعطاء الشيخ دينار
مساعدة دائمة لمسجد سوف يقوم ببنائه

في بلدته وهذا ما جعل ملوك هرمز
يخصصون مصروفاً سنوياً لهذا المسجد
حتى اليوم في مدينة لار .

أما كوتو فيقول "أن المعارضة
جاءت من أم قيس وليس زوجته ."

يقسم البحارة الهنود الخليج إلى
قسمين الأول منهما مضيق هرمز ويبدأ
عند جوارد في فارس وخليج عمان
ومضيق البصرة من هرمز أو قارون إلى
مدينة البصرة نفسها والتي تقع في رأس
الخليج حيث يلتقي دجلة بالفرات .

ويبلغ اتساع الجزء الأول مائة
فرسخ أما الثاني فيبلغ مائتي فرسخ
تقريباً .

وتقع جزيرة هرمز أو قارون (والتي
يبلغ طولها من ستة إلى سبع أميال)
على مسافة ٥ أميال من شواطئ فارس
ابتداءً من (دوس) وعلى بعد تسعة
فراسخ من أرض الجزيرة مع اختلاف
الشواطئ على الجانبين فهي أحسن
للملاحة على الجانب الفارسي .

تحتوي جزيرة هرمز أو قارون على
بعض المعالم ذات الأهمية لذا سوف
أذكر بعضها للقراء :

جزيرة هرمز بركانية لذا تكسوها
الجبال العالية والصلبة من طرف إلى

الطين المالح حاويات للماء (قلل) يبرد فيها بطريقة مذهلة .

وأذكر أنني عندما كنت في هرمز عام ١٥٩٦م وكان ملكها فيروز شاه الرجل العجوز والذي وقع في غرام أموال بيبي فاطمة أرملة أحد رعاياه الذي كان يدعى رئيس بدر الدين وكان وزيراً في موغستان في فارس. حاولت بيبي فاطمة تعجيز ملك هرمز فطلبت منه أن يزرع بستاناً جديداً ويحفر بئراً في (توران باغ) علماً منها بأن هذا مستحيل، ولكن ولجشع ملك هرمز قام بما أمرته به بيبي فاطمة ولكن مع ذلك لم يحصل الملك على أموالها .

بالقرب من توران باغ وقرب البحر هناك بئر للماء ويسمونها أهالي هرمز (عبد الرحمن) وماؤها ذو فوائد كبيرة وشربه يسبب الإسهال لذا يتوافد الأهالي في موسم معين لشربه وبعد نوبة الإسهال يتناولون البرتقال أو الليمون ولو خرجت حبوب الثمار مع الإسهال فإنهم يعتقدون أنه تم شفاؤهم فيتوجهون إلى تناول الوجبات الرئيسية .

يتوفر الصيد الكثير في هذه الجزيرة من الغزلان والطيور وأتعجب كيف تعيش هذه المخلوقات في مكان لا يتوفر

آخر مع صفاء جوها وملوحة مائها وتحتوي على كميات كبيرة من ملح الطعام الجبلي والبحري والمفضل منهما البحري حيث تأخذه السفن إلى البنغال ولهذه الجزيرة ميناءان (أو بندران) شرقي وغربي طبيعيا وكأنهما حفرا في الصخور وأهم بندر فيهما الشرقي حيث بنيت قلعة للبرتغاليين تعتبر أحسن قلعة في الشرق من حيث القوة والعمارة والتخطيط وفي مكان هذه القلعة كان يعيش قارون والذي سميت الجزيرة على اسمه .

ورغم وجود ينابيع الماء إلا أنها مالحة لذا تجمع مياه الأمطار وتخزن للاستعمال. ماعدا في بقعة واحدة من الجزيرة وتسمى (توران باغ) (توران باغ) يعني بستان توران) حيث يوجد بها بئر تروي منه مزارع الملك والوزير، في هذه البقعة تنمو أشجار كثيرة ولكن باقي الجزيرة يفتقر إلى الأشجار مع وجود شجرة واحدة نجدها في كل مكان تسمى شجرة الكنار وهي خضراء طيلة العام ومع ندرة الأعشاب يكاد يكون (السنامكي) ويسميه بيدرو في الأصل (سنافمن مكة) هو العشب الطبي الوحيد فيها. ويصنع سكان الجزيرة من

فيه الماء العذب وتوجد الذئاب ولا أحد يعلم كيف تعيش في هذه الجزيرة .

لقد كانت مدينة هرمز عامرة قبل الآن وقد أزيلت حالياً بعض المساكن من أجل بناء القلعة أما المنازل الباقية فهي جيدة البناء واستخدمت أشجار الجزيرة في بنائها وبعض الأحجار قطعت من البحر وتمتاز بخفتها وتقاوم الزلازل التي تشتهر بها الجزيرة ويستخدم الأسمنت المسمى (كبح) في ربط الأحجار ويجلب من الأرض الفارسية لأن المحلي منه أحمر اللون وأقل جودة وتستخدم مادة أخرى في البناء يضاف إليها الماء وتسمى (صاروج) وتجمع هذه المادة على هيئة تله وتحرق إلى أن يتحول لونها إلى الأبيض ثم تضرب بواسطة مجموعة من الرجال العرب (الذين يمتهنون هذه المهنة) إلى أن تتحول إلى ذرات صغار تستخدم فوراً وإلا تحولت إلى مادة غير صالحة لو تركت أكثر من يوم دون استخدام .

إن مادة الصاروج تقاوم الماء ولها استدامة طويلة - وتستخدم هذه المادة في بندر عباس أيضاً (حامدون) .

يمتاز أهالي هرمز ببياض البشرة وحسن الطلعة ونساؤها جميلات

ويتحدث الجميع بالفارسية ولكن ليس بنفس الجودة التي على اليابسة وبعض شيوخها سنه والبعض من أتباع علي ولكن الغالبية سنه وكذلك ملوكهم. هذا وتتواجد جنسيات ومذاهب أخرى على الجزيرة مثل المسيحيين والنسطوريين واليهود والوثنيين والبانيان واليعقوبيين وأما عن الجنسيات فمنهم البرتغال والأرمن وأهالي جورجيا (الجرجان) والبنغاليين والكامبين (من ميناء كامبي أو كامبايا) .

ورغم عدم وجود المنتجات الزراعية على الجزيرة إلا أن عملية الاستيراد كبيرة وبأسعار معقولة ويبيع كل شئ بالوزن .

مناخ جزيرة هرمز صحي ولا توجد الأمراض فيها وخاصة في الصيف وذلك بسبب الجو الحار والعرق الشديد الذي يطرد المرض من الأبدان . ولكن تكثر الأمراض في الخريف .

وختاماً فإن جزيرة قارون جزيرة مفتوحة لكل العالم ويتم فيها تبادل كل أنواع السلع التي تجلب إليها بواسطة التجار من مختلف جهات العالم هذا وإنني سوف أعود الآن إلى موضوعي الأصلي وهو نشأة هرمز .

ويقال أن نشأة الجزيرة مرتبطة باسمها الذي أطلق عليها في عام ٧٠٠هـ الموافق ١٣٠٢م ولقد نمت وتمتعت بالرفاه الاقتصادي حتى سبقت كل الأجزاء الأخرى في فارس والجزيرة العربية ووصل نفوذها إلى البصرة .

وبقيت على هذا المستوى إلى أن دخلها البرتغاليون ومارسوا فيها الاضطهاد (يبدو أن بيدرو تينحسيرا يذكر الحقيقة هنا ولكنه يحاول تحاشي المواجهة مع السلطات البرتغالية فيقوم بمدح قبطان الحامية ديغو مونس برتو [Diego Munis Barreto] ليغطي على ذلك) .

حكم غياث سيفين الجزيرة مدة عشر سنوات ويقال أنه توفي في نهاية هذه الفترة في عام ٧١١هـ الموافق ١٣١٢م .

وفي حكاية أخرى أنه بعد استتباب أمور هرمز تنازل عن الملك إلى عز الدين جوردون شاه ابن سلفر وببي زينب وحيد الملوك الأوائل وعاد غياث بعد ذلك إلى ولايته (وزير) في قليهات وتوفي فيها .

- إن لقب ببيبي والذي ذكرته عدة مرات يعني بالفارسية السيدة - يعتبر

الأمير فخر الدين غوردن شاه ثاني ملك لهرمز في عهدها الجديد والسادس عشر في عهدها القديم (ويعتبر كوتو وباروس أن هرمز أعلنت استقلالها في عهد عز الدين غوردن شاه عن السلطة العربية والفارسية) بعد توليه السلطة أرسل سفراءه إلى جزيرة قيس للملك معين لعقد الصلح ولكن رفض معين هذا الصلح .

وفي عام ٧١٤هـ الموافق ١٣١٥م حاصر ملك جزيرة قيس وجنوده وسفنه الكثيرة العدد جزيرة هرمز مرة أخرى ولكن تمكن غوردن شاه من التحصن وتوفير المؤن اللازمة حتى أن الأسعار لم تتغير أثناء فترة الحصار ولم يكن هناك نقص في الغذاء وبعد حصار دام أربعة أشهر طلب ملك قيس الصلح ولكن كانت له نوايا سيئة في ذلك وعقد موعد للقاء الملكين وعلى ساحل الجزيرة نزل ملك قيس في انتظار ملك هرمز وما أن وصل حتى حمله الأول (حيث كان قويا جداً) إلى طراذه (سفينته) وهرب به إلى جزيرة قيس أمام أنظار أهل هرمز .

عندما وصل الخبر إلى زوجة غوردن شاه (ببيبي سلطان) طلبت من ملك غياث الدين دينار ابن أخيها شاهنشاه أن يتولى الحكم في الجزيرة، وبعد

خمسة أشهر عاد ملك قيس ومعه ملك هرمز مقيداً على سطح الطراد وفي منتصف الطريق هبت عاصفة عظيمة مزقت السفن وتحطمت السفينة التي تقل غوردن شاه على سواحل هرمز فأنقذه الناس ولكن لم يتنازل ملك غياث الدين دينار عن السلطة لذا التجأ غوردن شاه إلى بيت خواجه محمد كاتب وكان هذا الشخص هو السكرتير الخاص لغوردن شاه - ونظراً لعدم اطمئنانه انتقل في نفس الليلة إلى الأراضي الفارسية واستقر في قلعة ميناب وجمع جيوشه فساعدته الملك عز الدين حاكم شيراز لغزو هرمز وكان السبب في ذلك تردي الموارد المالية في جزيرة قيس (نتيجة لقيام غوردن شاه باحتجاز السفن القادمة من الهند والمتجهة إلى جزيرة قيس) في جزيرة هرمز - عندما بلغت أخبار استعدادات الغزو ملك هرمز توجه بجيشه إلى ميناء سرميون (باسيدو أو باسعيدو) في جزيرة قشم لكي يمنع القوات الغازية من التزود بالماء وبعد وصوله إلى هناك بلغته أخبار السفن العشر القادمة من الهند والمتواجدة في مسار مائي بين هرمز ولارك فتوجه إلى الموقع المذكور وقام باحتجاز السفن التجارية في جزيرة هرمز .

واجهت القوات الغازية (مائة وعشرون سفينة) عاصفة قوية قرب ميناء سرميون وتحطمت غالبية السفن المهاجمة والتجأ ما بقي منها إلى جزيرة هنجام .

وعندما بلغت أنباء استيلاء غوردن شاه على سفن الهند استعد ملك قيس لمواجهة .

فاستعد له غوردن شاه في اثني عشر ألفاً من جنوده ونزل إلى ساحل جسيرو (أوشيرو) وهزم أول محاولة للملك قيس مع فقدان الأخير لكثير من السفن والرجال ولحق به غوردن شاه بعد نصيحة قائده البحري صخر ركن الدين وألحق الهزيمة الكاملة بأهالي وجنود جزيرة قيس (وتعني القلعة الزرقاء) .

عندما بلغت الأخبار ملك غياث الدين ورأى أن رجاله تخلوا عنه إلى غوردن شاه هرب إلى مكران (مملكة بين فارس والسند) فجاء الأمير عز الدين غوردن شاه إلى جزيرة هرمز وبقي فيها سنتين وتوفي في ٧١٧ هـ الموافق ١٣١٨ م .

تولى الأمير مبرز الدين بهرام شاه ابن عز الدين غوردن شاه أمور المملكة بعد وفاة أبيه وكان الملك السابع عشر لهذه الإمارة ولكن اتفق الجنود في

وأعلن نفسه ملكاً على الجزيرة وكان ذلك في ٧١٨ هـ الموافق ١٣١٩ م .

فانقسم الناس إلى مجموعتين الأولى مع مير شهاب الدين يوسف الملك والأخرى مع مير قطب الدين أخ الملك المسجون .

انتهز ملك دينار الفرصة وعاد من مكران مع قوة عظيمة مدعياً أنه جاء لمساعدة مير شاه قطب الدين ولكن بعد وصوله إلى الجزيرة التحق بالطرف المنتصر (مجموعة شهاب الدين يوسف) .

قامت بيبي سلطان أخت دينار وبيبي نظام الملك زوجة مير شهاب الدين يوسف بمساعٍ للصالح ولكن قام شهاب الدين يوسف بقطع رؤوس الملك السابق وأمه وأخيه لكي يبقى الملك له وحده .

فتوجه شهاب الدين إلى قليهات مع بيبي مريم زوجة (عياض) غياث سيفين ، وسمع شهاب الدين يوسف أن رجال جزيرة قيس سوف يعودون مرة ثانية لغزو جزيرته فتوجه لملاقاتهم ولكن خاف مواجهتهم فعاد أدراجه إلى مملكته .

الحامية الواقعة على اليابسة أن يعينوا أخاه الشاه قطب الدين مكانه وأتوا به من بركة (أقرب موقع بهذا الاسم بركة بنذر أو بركة ميرازي) إلى ميناب .

خرج بهرام شاه لمواجهة أخيه قطب الدين فوجده مع أخ آخر يدعى ملك نظام الدين فحاربهم وانتصر عليهم وعاد إلى هرمز .

وكان كبار قواد مير شهاب الدين يوسف ومير تقي الدين زنكشاه الأول في البحر والثاني في البر وقد أثارهما الحسد فقاما بالاضطرابات في المملكة مما أدى إلى اعتقالهما ، في هذه الفترة هجم رجال قيس مرة أخرى ولكنهم هزموا مثل المرات السابقة وفي أثناء الموقعة اضطرب بهرام شاه لإطلاق سراح السجينين وتوجه لملاقاة أخويه مرة أخرى حيث أشارا المتاعب من جديد ولكن لسوء الأحوال الجوية عاد إلى منزله في الليل .

في منتصف تلك الليلة جاء القائد مير شهاب الدين إلى بوابة القصر ومعه الجنود الراجلة والراكبة وطلب الملك مدعياً أن بيبي سلطان سلفه قد هجمت على الجزيرة فخرج الملك وتبعته أمه وأخوه نظام الدين عجم شاه ، فألقى القبض عليهم جميعاً وأخذهم إلى السجن

ولكن وبعد سنة واحدة عاد شهاب الدين من قليهاة مع الملك جلال الدين قويسى (أو تونيرى) ومعهم خواجه جمال الدين نعيم وأخذ هرمز في غفلة وزج بشهاب الدين يوسف في السجن .

فقام مير شهاب الدين ابن غوردن شاه بالانتقام من مير شهاب الدين يوسف وقتله وقتل معه زوجته بيبي نظام الملك وقتل معه ابنه مير عماد الدين أو سين؟ وأخيه الأمير اوسين وكان الجميع سجناء في قلعة (جنر أو جتان) ولكن في فترة من الزمان قام كل من ملك جلال الدين قويس وخواجه جمال الدين نعيم (واللذان أعادا الشاه قطب الدين إلى مملكة هرمز) بالتآمر عليه لتولي أمور المملكة بدلاً منه ولكن بلغه خبر المؤامرة فهرب وعين جمال الدين نعيم في البحرين أما ملك جلال الدين قويس فالتجأ إلى جزيرة قيس وبقي الشاه قطب الدين في مملكته هرمز في أمن وسلام .

موغستان على اليابسة هرباً من حرارة الجو في هرمز .

ولكن قام محمد سوركاب وإبراهيم سلفر (قائدا قطب الدين) بالدفاع عن القلعة وردا الجيوش المهاجمة .

توجه شاه قطب الدين إلى جزيرته وأعد أسطولاً ضخماً لمهاجمة جزيرة قيس انتقاماً من ملكها وبالفعل تم الهجوم وتكبدت جزيرة قيس الكثير من القتلى والدمار الشامل وأخذ ملكها غياث الدين أسيراً وقتل هو وبعض أتباعه .

وقام الشاه قطب الدين بتحسين جزيرة قيس وترك فيها حامية كبيرة وتوجه بعدها إلى هرمز وفي طريق عودته فتح جزيرة البحرين المشهورة بلؤلؤها ومائها العذب الذي ينبع من البحر وسوف أقوم بتقديم شرح عنها (وكان ذلك حوالي ١٣٣٠م) .

جزيرة البحرين :

تقع جزيرة البحرين في مياه بحر البصرة بين جزيرة قارون أو هرمز والبصرة وتكاد تكون المسافة متساوية وتبلغ مائة فرسخ من البحرين إلى كل

توفي ملك قيس العجوز وتبعه في الحكم ملك غياث الدين وغزا هرمز في جيش عظيم أثناء فترة الصيف حيث يقضي الشاه قطب الدين هذه الفترة في

موقع من المواقع المذكورة (هرمز والبصرة) وهي قريبة من ساحل جزيرة العرب ومقابلة للقطيف والتي تقع في الإحساء المنطقة التابعة للأتراك وكل سكان البحرين من العرب ماعدا وزيرها الفارسي وحاميته الفارسية وهي تابعة الآن لملك هرمز ولكن في عام ١٦٠٢م قام الشاه الفارسي بامتلاكها بالخيانة^(١٦).

إن تراب البحرين خصب ومنتج وخاصة لأشجار التمور والتي توجد بكثرة في هذه الجزيرة ويوجد قليل من القمح ولكن الكثير من الشعير .

وتعتبر الوجبة الرئيسية في البحرين الأرز ويستورد من الهند عن طريق هرمز .

وتوجد آبار في البحرين ولكن أغلبها ليس عذبا ولكنه صالح للشرب أحسن هذه الآبار (حنينية) وهذه البئر عميقة وتقع في وسط الجزيرة وبعدها في الجودة تلك الينابيع التي تتواجد تحت سطح البحر .

وفي مدينة المنامة (المدينة الرئيسية في الجزيرة) وعلى عمق باعين أو ثلاثة تحت سطح البحر توجد ينابيع المياه العذبة ويقوم بعض الرجال بملء جلد الماعز منها ويعتبر البعض منهم هذه

العملية وسيلة للرزق طول النهار. وأخبرني أحد المعمرين في البحرين أن هذه الينابيع كانت على اليابسة ولكن مع مضي الوقت غمرها البحر وأعتقد أن من هذه الينابيع أخذت الجزيرة اسمها (البحرين) وربما يكون الإسم رمزاً لمجريين من الماء يمران في الجزيرة ولكن أعتقد أن التسمية الأولى أصح .

تشتهر البحرين باللؤلؤ وسوف أعطي إيجازاً عن طريقة صيده توجد في الشرق مصائد للؤلؤ أشهرها تلك التي في البحرين في الخليج والأخرى في منار في الهند وذلك الموقع بين جزيرة سيلان وجزء من شبه القارة الهندية يسمى (توتان كوري) باللهجة المحلية ولكن نسميه نحن البرتغاليين (كوموري) ويلي هذا المكان بندر كورد ومنه تصدر أنواع الأرز في البنغال .

يبدأ الغوص في البحرين في شهر يونيو وأحيانا في يوليو ويستمر حتى شهر أغسطس ويتكون أسطول الغوص من مائتي سفينة أو ربما أقل، مائة من البحرين وخمسون من جلفار (رأس الخيمة) وخمسون من نخيلو، وتتجه هذه السفن إلى ساحل قطر على بعد عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيد

الأصداف تفتح لإزالة اللؤلؤ منها وتمتاز بالجودة والوزن الثقيل لأنه لو قارنا لؤلؤة بنفس الحجم من مكان آخر مع لؤلؤة مساويه من البحرين نجد أن وزن البحرينية أكبر .

ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ في البحرين خمسمائة ألف (دكتا) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيداً عن عيون الوزير تحاشياً للضرائب - وتدفع البحرين سنوياً إلى قائد هرمز مبلغ أربعة آلاف دكتا ضرائب من إيرادات اللؤلؤ فيها .

وتستخدم أوزان القيراط والمثقال في عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل أربعة وعشرين قيراطاً مثقالاً واحداً - ويعادل المثقال عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين لؤلؤة صغيرة .

ويغوص الغاص في البحرين بعد ربط الحجر في قدمه وعلى عمق اثني عشر إلى خمسة عشر باعا .

هذا وهناك مغاصات أخرى تستخدم في شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار وأخرى قرب مسقط ورأس الحد وكلها تقع في بحر هرمز الضيق ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة .

أما عن المغاصات الشرقية الأخرى فهي تسمى شيلاو (على بعد ثمانية وأربعين ميلاً من كولومبو) وسميت هذه المواقع على اسم ميناء في جزيرة سيلان في السابق وتعني هذه الكلمة (المصائد) باللهجة المحلية والتي يطلق عليها لسان الشانجلا^(١٧) .

ويدخل موسم الغوص في سيلان في شهر إبريل وبداية مايو وذلك بشهر أو شهرين قبل بداية موسم الغوص في البحرين. وذلك لأن الصيف يأتي مبكراً في سيلان عنه في البحرين والبحر يكون هادئاً .

ويتكون أسطول سيلان من أربعمائة إلى خمسمائة سفينة تحمل كل سفينة من ستين إلى تسعين رجلاً ثلثهم (كروقة) (غيص) والباقيون مانديسا (السيب) ويكون كل اثنين لغواص واحد وتنقسم السفينة إلى عدة أجزاء تسمى (بتاقا) وتعني حجرة أو جزءاً من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده على حده عن غيره ويسمون المحار (شيبو) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد والذي يستمر ستة عشر يوماً ثمانية أيام لكل مجموعة وبعدها يفتح المحار وتصطاد كل سفينة يومياً من مائة إلى ألف محارة

ولا يحاولون اصطياد أكثر من ذلك
محافظة على أسعار اللؤلؤ .

وبعد مضي ستة عشر يوماً إذا كان
الصيد غير كافٍ تمديد الفترة إلى نصف
(بيلو) أربعة أيام أو بيلو كامل (ثمانية
أيام) ويجازى الغيص يومياً لقيامه
بعمله (أي يعطى نقوداً مقابل العمل)
ويعطون مقابل ذلك ما يصطاده الغيص
في غطسة واحدة لربان السفينة ويحتفظ
بالباقى لنفسه (لذا توضع كل مجموعة
على حدة) ويختار ربان السفينة صيد
غطسة يختارها بنفسه وفي نهاية كل
أسبوع له صيد يوم كامل وتقدم كل
سفينة صيد يوم كامل لحاكم المدينة
(مدينة مرورة) وكانت في السابق تقدم
كمية لزوجة قائد الحامية البرتغالي ولكن
أوقفت هذه العادة الآن بأمر من رؤساء
الشركة (اليسوعيين) والذين يديرون منذ
بداية القرن السابع عشر الأمور التجارية
والدينية لسكان الساحل الشمالي الغربي
للجزيرة ورغم معارضة الرهبان
(الفرنسيسكان) فلقد أوقف اليسوعيون
ما كان يقوم به القائد البرتغالي لمخالفته
للنظام .

ويغوص الغواص إلى عمق عشرة
أبواق وتشارك سفينتان برتغاليتان في

حماية أسطول الصيد خشية هجوم
قراصنة ملبار - ويشترك ما يقارب من
خمسين إلى ستين ألفاً من التجار
والبحارة وصيادي الأسماك والخدم في
موسم الغوص ويقيمون في معسكرات
متنقلة وتبلغ إيرادات اللؤلؤ مليوناً
ونصف مليون من العملات الذهبية كل
عام .

وبعد انتهاء موسم الغوص يعلن عن
بدء فتح المحار وتلتقط اللائى إن وجدت
في المحار وتؤخذ إلى ميناء توتان كوري
حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من منتصف
شهر يونيو حتى أكتوبر ويتم تسعير
اللؤلؤ بطريقة قياس (الجو) وتباع اللائى
في مبان مثل مبنى الجمارك حيث
يشرف عليها دالون تابعون لحاكم
البلاد (النايك) الذي يأخذ ٤٪ من
البائع ولا يأخذ أي شيء من المشتري.
وللمشتري حق تغيير رأيه بعد يومين
دون جزاء .

إلى جانب عملية البيع المنظمة تتم
معاملات سرية في اللؤلؤ المهرب
تحتشياً لضرائب الحاكم وتشتري وتباع
حسب نظام (الجو) .

وتوجد لائى من الصين ولكنها
ليست بنفس الجودة وتسمى (توبوس)

(أعطية) لأشكالها الغريبة وقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ومع احترامي لكل ما كتب لا أستطيع أن أتفق معهم في الرأي بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحارة حيث أنه لا يعقل أن تطفو هذه المحارة الثقيلة إلى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم أيضاً أنه كلما كانت المحارة على عمق أكبر كانت اللؤلؤة أكثر جودة .

وأكثر من ذلك وجدنا أننا واليسوعيين والوثنيين العاملين في صيد اللؤلؤ أن هناك جزءاً من المحارة لو قطع وجعل بالماء يتحول إلى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة. ولذاؤكد أن اللؤلؤ يتكون من نفس مادة المحارة لسبب أو آخر فهي نفس تركيبات المحارة الحاوية لها .

ولكن أتعجب من وصفات الأطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ في الوصفات الطبية .

بعد هذا العرض الكامل والذي أدخله بيدرو تينحسيرا في سياق الحديث عن جزر البحرين يعود الآن مملكة هرمز مرة أخرى .

عندما احتل شاه قطب الدين البحرين احتل القطيف وديراب (جزيرة تجاه شط العرب) وربما تكون هندرابي. وأصبح سيد الشواطئ الخليجية العربية والفارسية وأصبح له دخل مادي كبير .

وكان لشاه قطب الدين أخ يسمى نظام الدين أحبه كثيراً ولكن كان الأخير يتآمر على أخيه قطب الدين .

وافق نظام الدين أخاه قطب الدين في رحلة صيد إلى اليابسة في منطقة (رودخانه سور) (نهر الملح) في اتجاه (مريدون) فانتهز نظام الدين الفرصة مدعياً أنه يطارد أرنباً برياً واتجه هو ورجاله إلى (دوس) مقابل جزيرة هرمز وهناك عبر البحر وعاد إلى هرمز وقد سقطت في يده بسهولة حيث كان كبار القوم في صحبة الملك في الصيد فعاد الملك إلى الساحل المقابل واستقر في (كولجهان) يستعد للعبور إلى جزيرة هرمز وكان ذلك في ٧٤٥هـ الموافق ١٣٤٥م .

وبعد استقرار نظام الدين أرسل إلى المناطق التابعة له رسله ليخبرهم بذلك ويطلب من الولاة فيها الولاء له وإعداد إياهم بالهدايا والمكافئات .

لم يستجب الولاة لهذا الطلب
ماعدا (هيراھتان) والتي طلبت منه في
الصيف إرسال دعم عسكري يساعد
الأهالي ضد هجمات رجال قطب الدين
مهددين أنه لو تأخر هذا الدعم فإنهم
سوف يتحولون إلى قطب الدين .

قرر نظام الدين العبور إلى اليابسة
للدفاع عن مناطق نفوذه مستعيناً بوزراء
قطب الدين وقيادته العسكرية ولكن
رفض الجميع مساعدته ماعدا (عمر
ضياء الدين) حارس البوابة وأحد القواد
الكبار والذي أعلن ولاءه لنظام الدين .

بعد ذلك عبر نظام الدين إلى
اليابسة وتوجه إلى منطقة كولجهان
فتقابل الجيشان ، جيش نظام الدين
وجيش قطب الدين وكان عمر ضياء
الدين وبقية الجيش في صف نظام الدين
لذا قرر قطب الدين شاه التراجع إلى
(أسكونيين) منطقة قرب الساحل وعلى
بعد أربعين فرسخاً من أرض المعركة
وعبر البحر إلى قلیہات وإلى جزيرة
العرب وبقي هناك سنة واحدة، كان
انتقال قطب الدين إلى قلیہات بادرة
انتعاش، إقتصادي حيث تحولت السفن

القادمة من الهند إلى قلیہات بدل
هرمز .

"يذكر ابن بطوطة أنه عندما كان في
ظفار أبلغ أن السلطان قطب الدين
تهماتان ابن تورانشاه ملك هرمز قد هجم
عليها في أسطول عظيم ولكن أرسل الله
عليه عاصفة حطمت سفنه ولذا عقد
الصلح مع ملك ظفار بدل احتلالها"
وتبدو هذه الواقعة وكأنها تؤكد ما يذكره
بيدرو تينحسيرا .

بعد استقرار قطب الدين في قلیہات
وصلته أنباء عن موت نظام الدين وأنه
قد أوصى أوصى ابنه شمه وشادي بالتوجه
إلى قلیہات وتقديم المملكة إلى قطب
الدين مرة أخرى ولكنهما لم يفعل ذلك
(ويقال حسب رواية ابن بطوطة أن
نظام الدين مات مسموماً) .

أقام قطب الدين العزاء لأخيه
وأرسل رسائل تعزية مؤثرة إلى ابني
أخيه يخبرهما فيها أنه يعتبرهما مثل
أولاده. ولكن لم يهتم الإبنان لذلك وقاما
بالضغط على الأهالي والطغيان وأصبح
وجودهما خراباً للمملكة .

عندما علم قطب الدين بذلك جهز
أسطوله وتوجه إلى جكن (ميناء قرب
جسك) وكانت مسكونة بالأعراب ودخل

أسطوله في معركة مع أسطول ابني أخيه وانتصر أسطول هرمز وهزم ابني أخيه فعاد منتصراً من المعركة إلى (كوستك) حيث قابله أيوب شمس الدين أحد قادته البحريين ومعه دعم عسكري من هرمز لمساعدته فاتجه قطب الدين ومعه الأسطول إلى هرمز ووصل إلى ميناء (جارو أو كارو) في هرمز عندما سلم ابنا أخيه نفسيهما إليه ولكن بشرط الإبقاء على حياتيهما فقام الملك قطب الدين بنفيهما إلى البحرين .

أعاد قطب الدين تنظيم أمور الجزيرة وأعاد أسعار المواد الغذائية إلى سابق عهدها وسمح للهاربين والمنفيين بالعودة إليها وأعاد إليهم أملاكهم .

ولكن ما إن وصل الأخوان إلى البحرين حتى قاما بالاستعداد مرة أخرى لغزو هرمز .

قام السلطان قطب الدين بالاستعداد من جانبه لدخول البحرين . ويؤكد ابن بطوطة ذلك قائلاً : (عندما دخلنا هرمز وجدنا السلطان قطب الدين تهماً ابن تورانشاه وهو رجل طاعن في السن يستعد للحرب ضد ابني أخيه نظام الدين وكان كل ليلة يعلن نية البدء في الحرب وكان وزيره شمس الدين

محمد بن علي القاضي إمام الدين الشونكري وكثير من الرجال جاءوا لزيارتي ولكن استأذنوا في الرحيل لانشغالهم باستعدادات الحرب وبقينا ستة عشر يوماً معهم وبعد مقابلة السلطان وابن أخته علي شاه ابن جلال الدين ولقد تسبب استلام نظام الدين السلطة بالانقلاب على أخيه قطب الدين أثناء غياب الأخير عن المدينة في حروب تعتبر المواجهة الحالية بين قطب الدين وابني أخيه جزءاً منها وقد استقر قطب الدين وحاول عدة مرات استرجاع هرمز من أخيه نظام الدين ولكن باءت كل محاولاته بالفشل إلى أن قرر إرسال رسول منه إلى زوجة أخيه نظام الدين بغرض دس السم له وتم ذلك فمات نظام الدين مسموماً وقرر عندها قطب الدين العودة إلى هرمز فهرب ابنا أخيه مع ثروات كبيرة إلى جزيرة قيس وقاما من هناك بأعمال القرصنة واعتراض السفن المتوجهة إلى هرمز ودمروا جزءاً كبيراً من تجارتها) .

إننا وبالإشارة إلى ما يذكره ابن بطوطة نجد أن هناك تقارباً في الأحداث ما عدا أننا نستطيع أن نؤكد أن التاريخ الذي يذكره ابن بطوطة لزيارته ربما كان ١٣٤٦-١٣٤٧م ولكنه يذكر أنه ترك

اليمن لزيارة مكة في ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣٢م وزار هرمز بعد عدة سنوات قادماً من الصين ونعتقد أنها كانت ١٣٤٧م ولكنه لا يذكر أي شيء عن الثلاثة الأيام التي قضاها في هرمز في زيارة ثانية .

نواصل مذكرات بيدرو تينحسيرا فيقول أن السلطان قطب الدين توجه إلى ملاقة ابني أخيه ودخل جزيرة قيس حيث كان يقيم شادي والذي انتصر في الحرب ضد جيش عمه السلطان .

توجه السلطان مرة أخرى إلى هرمز وعاد للهجوم على هرمز ولكنه لم يجد شادي بها حيث توجه إلى البحرين للملاقة أخيه شنبه فدخل قطب الدين جزيرة قيس وسلبها وترك بها حامية كبيرة وعاد إلى هرمز ليستعد لغزو البحرين .

عندما علم الأخوان بذلك توجهوا من البحرين إلى قيس لاسترجاعها ولكن في منتصف الطريق هجرهما جنودهما وقوادهما والتحقوا بالملك وأشهرهم شمس الدين محمود وكمال الدين إسماعيل ونصر الدين مصلح وهم من الزعماء الكبار .

وقبل توجههم إلى هرمز مروا بجزيرة قيس وأنذروا حاكمها مير طه باحتمال وصول أسطول البحرين. ومن هناك توجهوا إلى لفت في جزيرة قشم وأخذوا معهم مير سابق الدين (قائد قلعتها) إلى هرمز خوفاً عليه من هجوم الأسطول القادم للحرب .

لم يتراجع الأخوان شنبه وشادي فأبحرا في اتجاه جزيرة قيس ولكن لم يسمح لها بالتوقف فيها فواصلوا الإبحار إلى لفت أرسل ملك هرمز قواته إلى المقدمة للملاقة أسطول البحرين وعسكرت هذه القوات في ميناء (دارجودن) قرب لفت في جزيرة قشم فقام جيش الملك بالهجوم البري والبحري وهزم أسطول البحرين الذي اضطر للعودة بعد خسائر كبيرة إلى جزيرة البحرين. ومع وصولهما إلى البحرين ابتدأ الصراع بين الأخوين كل يتهم الآخر بسبب الهزيمة التي أحلت بهما فقام شادي باعتقال شنبه وزج به في السجن وكاد يقتله لولا تدخل والدتهما في ذلك والتي قامت بإطلاق سراح ابنها شنبه .

وما أن أطلق سراح شنبه حتى توجه إلى قرية قرب شيراز (تدي فال) واستقر بها وهذه القرية جاء منها كل

وزراء هرمز والرؤساء شرف الدين
والرئيس نور الدين وبدر الدين .

"يبدو أن ملوك هرمز اختاروا
وزراءهم من طائفة (الخواجيه) والتي
استقرت أصلاً في قرية فال، والرئيس أو
الرؤساء هم حكام صغار وعلى جميع
المستويات ويخضعون للملك هرمز أما
الشریف أو الأشرف فهم خزنة الملك".

عندما أدرك حاكم شيراز شخصية
الرجل المقيم في فال أرسل في طلبه
وأكرمه وعامله معاملة عظيمة .

عندما جاء الضيف توجه الشاه
قطب الدين ملك هرمز وبلاطه إلى
نخلستان (في مغوستان) على الأرض
الفارسية حيث تكثر الأشجار والمياه
العذبة وذلك لقضاء فترة الصيف لكن
وافاه الأجل هناك بعد عدة أيام من
وصوله وكان ذلك في ٧٤٧هـ الموافق
١٣٤٧م .

بعد وفاة الأب تولى الابن توران شاه
ابن قطب الدين شاه الحكم في هرمز وهو
الذي كتب الشاهنامه الخاصة بهرمز
وتاريخ ملوكها وبصورة مطولة وليس
بالصورة التي أقدمها الآن. وكان ملكاً
متواضعاً أحبه الناس وما أن تولى إمارة
هرمز حتى أرسل حاكماً نائباً عنه إلى

جزيرة قيس (محمود عمر) وهو رجل
شجاع وذو كفاءة إدارية وخبرة طويلة
ومع علم شادي في البحرين بشجاعة
واقdam محمود عمر في قيس فإنه لم
يتراجع عن محاولة دخولها بأسطوله
مرة أخرى وهزيمته للمرة الثانية والتي
تبعها عملية التآمر التي قام بها مع أحد
أقارب محمود عمر للنيل منه في الفرصة
السانحة فقام شادي بطلب الصلح
وأبدى رغبته في لقاء محمود عمر من
أجل ذلك عندما تم اللقاء جاء شادي إلى
المكان المخصص واستطاع أن يعزل
محمود عمر في مكان بعيد عن مرافقيه
وأن يعمى عينيه وكانت هذه العملية من
الوسائل التي يمارسها ملوك فارس
وهرمز انتقاماً من المناوئين لهم وخاصة
من أقربائهم وفي هرمز كان هناك برج
قريب من (مزار سانتا لوسيا) الآن هذا
البرج كان يستخدم لسجن من تم تنفيذ
ذلك الحكم فيه من أقارب ملوك هرمز.
وكانت هذه العملية تتم بواسطة تسخين
وعاء من النحاس على النار حتى يتوهج
وبعد ذلك يتم تقريبه من عيني
الشخص، وتؤدي الحرارة والتوهج إلى
تلف عصب العين مع بقاء العين كما
هي دون وجود أية جروح أو إصابات
خارجية .

(الصفاف أو الصحاف) ويسمى حمد الرشيد .

إتجه الاثنان إلى الشيخ ماجد حاكم القطيف يطلبان مساعدته العسكرية ضد مير عجب ، وعلى غفلة منهما قام الشيخ ماجد بإلقاء القبض عليهما وإرسالهما مقيدين إلى هرمز برفقة الزعيم (علي المشدي) .

لما بلغ السجناء هرمز أخبروا ملكها توران شاه بما جرى في البحرين فأبحر معهم إليها وقابل هناك مير عجب والذي طلب من الملك تعيينه حاكماً عليها مقابل ما قام به تجاه الطاغية شنبه .

على عكس ما توقع مير عجب قام الملك توران شاه بعزله عن البحرين فالتجأ إلى (الدير) ولكن قام رجال توران شاه بالقبض عليه وإحضاره إلى ملكهم الذي أمر بقطع رأسه وإطلاق سراح السجينين (البهلوان والشيخ حمد الرشيد) .

توجه توران شاه بعد ذلك إلى القطيف حيث لقيه شيخها ماجد بكل حفاوة واحترام وبعد مضي عدة أيام هناك عاد إلى البحرين ومنها إلى هرمز مرة أخرى .

وبعد عمى محمود عمر أصبح شادي حاكم هرمز المطلق فأرسل ملك هرمز أسطوله إلى قيس لاعتقال شادي ورغم الحصار المضروب على الجزيرة استطاع الفرار والتوجه إلى لفت في جزيرة قشم فوصل الملك إلى ميناء دراجودن قرب لفت وهناك تخلى أصدقاء شادي عنه والتحقوا بمعية الملك فهرب شادي مرة أخرى إلى البحرين وتوفي بعد وصوله إليها - فقام توران شاه بتولية ابن شادي على البحرين .

ما إن بلغت أنباء وفاة شادي إلى أخيه شنبه في شيراز حتى توجه مسرعاً إلى البحرين وقام باحتلالها والانتقام من كل من ساعد أخاه ضده وقتل الكثيرين ولم يسلم من ذلك حتى الأطفال (قتل ولي العهد والذي كان طفلاً آنذاك) وهرب الكثيرون من الجزيرة. فتصدى له (مير عجب) ومرافقوه وعائلته وهجموا على منزل شنبه وقتلوه .

بعد مقتل شنبه تم إطلاق أحد الزعماء المسجونين (محمد البهلوان) وطلب منه مير عجب أن يتنازل له (أي لير عجب) عن حكم البحرين ولكن رفض البهلوان ذلك وتوجه إلى قلعة القطيف برفقة زعيم عربي آخر من

توفي سلفر شاه وبعده تولي (الشاه ريس) الحكم وتلاه الشاه سيف الدين وكان الأخير ملك هرمز عندما دخلها الفونسو دا البوكيرك في ١٥٠٧م ورغم تطوير هرمز بقيت العائلة الملكية تتوالى في السلطة على الجزيرة .

ولكن بقيت سلطتهم في حدود الجزيرة وعلى رعاياهم الأصليين فقط وحددت السلطة البرتغالية تنقلاتهم إلى خارج الجزيرة دون إذن من قائد حامية هرمز، وبما أنه لم يكتب أحد من الملوك التابعين لتوران شاه أي شئ عن تاريخ هرمز وملوكها لذا أتوقف عند هذا الحد من تاريخ هذه المملكة .

تعقيب ورواية أخرى عن توران شاه :

يذكر عبد الرزاق (أحد زوار هرمز) أن ملكها كان فخر الدين توران شاه عند زيارته لها ويبدو من مقارنة الفترة الزمنية التي توفي فيها توران شاه بأن الأولاد الأربعة الذين تبعوه في الحكم هم في الحقيقة أبناء ابنه فخر الدين وليسوا أبناءه ولكننا لا نعلم فترة حكم فخر الدين ولكن نستطيع أن ندرك بأنه في هذه الحالة خلفه أبناؤه بالترتيب الآتي: الأول مسعود والذي حكم إلى أن

إلى هذا الحد من التاريخ المذكور عن ملوك هرمز كان مصدرنا ما كتبه الملك توران شاه والذي حكم ثلاثين عاماً توفي بعدها في ٧٧٩هـ الموافق ١٣٧٨م وتبعه في الحكم أبناؤه كما يلي: الأول مسعود وتلاه شهاب الدين وبعده سلفرشاه والذي حكم الجزيرة والجزء من اليابسة المقابل لها ويقال أنه أراد في لحظة من لحظات عنفه أن يدفن البحرين الجزيرة واليابسة لتصبح هرمز مملكة واحدة وهو الذي كان يغني بأعلى صوته ضد الدولة الصفوية قائلاً (قلب أعدائي يحترق لأنني رجل في أرض محاطة بالبحر) ويعني عدم استطاعة الدولة الصفوية الانتقال عن طريق البحر إلى جزيرته ومع أن الدولة الصفوية ملكت السواحل كلها واليابسة ولكنها ذهبت دون أن تطل جزيرة هرمز .

مع وجود قبائل ساحلية موالية للشاه الصفوي مثل العماديين وقبائل قول .

هنا يجب أن نذكر أن الصفويين وجدوا قبل الشاه إسماعيل الصفوي والذي كان ملكاً لفارس عند وصول البرتغاليين إلى هرمز .

توفى وبعده شهاب الدين (ونستطيع أن نؤكد في هذه الحالة بأن نهاية فخر الدين توران شاه تقع في الفترة القريبة من ١٤٥٥م) وقد زار هرمز (جوسافا باربارو) من البندقية حيث يقول أن سيد البلاد يدعى سلطان شهاب الدين ويقول أيضاً أن هرمز تدفع الجزية إلى الملك عاصم بك (حاكم فارس التركماني في تلك الفترة الزمنية) والذي توفي في ١٤٧٨م ويبدو أنه من التواريخ المقدمة من زيارة باربارو بأن شهاب الدين قد حكم إحدى عشرة سنة فقط ١٤٦٥-١٤٧٦م .

أما باروس (Barros) فهو يقول أنه عندما توفي توران شاه الملك حكم بعده ماجد شهاب الدين وسلفر حافظ وشاويس وأن حكمهم استمر عشر سنوات للأول وإحدى عشرة للثاني والثالث سنة ونصف .

أما كوتو (Couto) فيقول أن تورانشاه خلف أربعة أولاد مسعود شاه، شهاب الدين، سلفر، وشاويس والذين تميز عهدهم بالإرهاب ما عدا مسعود شاه، والذي حكم عشر سنوات وشهاب الدين وحكم إحدى عشرة سنة، أما وشاويس وحكم سنة ونصف سنة، أما

سلفر فهرب إلى الإحساء بعد ثورة أخيه عليه واستعان بملك الإحساء وعاد بجيش كبير استرجع بواسطته الحكم مرة أخرى .

أما باروس فيقول إن سلفر كان حاكماً لقليةات عندما استولى أخوه الأصغر على السلطة ولذا هرب سلفر إلى الإحساء واستعان بالرئيس نور الدين والرئيس كمال الدين رئيس شيلاو واستطاعوا هزيمة جيش شاويس وسملت عيناه .

أما عن ملوك هرمز في الفترة البرتغالية :

فرغم أن ملوك هرمز وبعد دخول البرتغاليين إليها أصبحوا دمي في أيدي السلطة البرتغالية إلا أن العائلة المالكة استطاعت أن تواصل وجودها الاسمي والذي يخلو من أية سلطة أو حضور إداري إلى أن قام الصفويون بطرد البرتغاليين من هرمز ١٦٢٢م .

فلذلك يذكر كوتو مرة أخرى بأن سيف الدين حكم عشر سنوات تلاه أخوه توران شاه والذي حكم تسع سنوات ويبدو أن هذا التغيير حصل في عام ١٥١٥م حيث يذكر كوريا (Correa) بأن الملك في هرمز يسمى

توران شاه والذي يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة وأن والدته كانت حبشية وفي رواية أخرى أن هذا الملك دس وزيره له السم وعين مكانه شاباً يبلغ الثالثة عشرة من العمر يسمى محمد شاه ابن سيف الدين والذي حكم تسع سنوات فقط ويبدو أن لسيف الدين ولدان في عام ١٥١٥م أحدهما في التاسعة والثاني في الثانية وأنه في عام ١٥٣٢م كان هناك أخ للملك وهو شاب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وكان يدعى الرئيس علي وقد تم ترحيله إلى جوا في الهند لمحاولته دس السم إلى الملك محمد شاه وبعد وفاة محمد شاه قام قائد حامية هرمز باختيار أحد أبنائه (أي ابن محمد شاه) ويبلغ من العمر ثماني سنوات وتم تعيينه ملكاً للبلاد في عام ١٥٣٤م وقتل الطفل المذكور بالسم مرة أخرى نتيجة مؤامرة من عمه في جوا (الرئيس علي) ونقل الرئيس علي وهو الوريث الشرعي للملك من جوا إلى هرمز وسلم زمام السلطنة ولكن تم ترحيله مرة أخرى إلى جوا في عام ١٥٤٢م نتيجة لجنونه وإفراطه في شرب الخمر وأعيد مرة

أخرى بعد سنتين ولكنه لم يبق طويلاً في الحكم .

ويذكر كوتو أنه بعد وفاة سيف الدين خلفه سلفر شاه ابن توران شاه والذي تم ترحيله سابقاً بواسطة القائد البرتغالي إلى جوا منعاً لانشقاق وانقسام العائلة وأبقاه في كوشين وكان له ولد يسمى توران شاه وكانت والدته حبشية وتسمى (بيبي غزاله) وذلك لتشابه عينيها بعيني الغزال وأعيد سلفر إلى هرمز بعد وفاة سيف الدين لاستلام الحكم وتوفي في نوفمبر ١٥٤٣م مسموماً .

وتختلف الرواية مرة أخرى حيث يذكر كوريا أنه بعد وفاة سلفر تسلم السلطة ابنه توران شاه (قادمًا من هرمز) ويؤكد مؤرخ آخر (كوتو) أن القائد البرتغالي نونو دي كونها (Nuno da Cunha) كان قد نفى والد توران شاه وعمه (بابو شاه) إلى جوا وأن الأخير تزوج من امرأة من تلك البلاد ورزق بابن سمى فاروق شاه وأنه بعد بلوغ بابو شاه التسعين من العمر قرر العودة إلى هرمز وحصل على تصريح بذلك من القائد البرتغالي دي بيدرو دي سورا (D.Pedru de Soura) والذي تم تعيينه قائداً لحامية هرمز في ١٥٦٢م

ويقول كوتو أنه في عام ١٥٦٣م توفي توران شاه وتبعه الرجل المسن بابو شاه والذي لم يستمر حكمه أكثر من سنة وحكم بعده ابنه فاروق شاه وتصف المراسلات البرتغالية أنه نصب حاكماً في احتفال كبير وتدل على أنه أعطيت له الصلاحيات المعطاة سابقاً للملك توران شاه في ١٨ مارس ١٥٦٩م .

ويبدو أنه حكم مدة طويلة حيث توجد مراسلات برتغالية تذكر أن الملك العجوز يود أن يتنازل لابنه الثاني محمد شاه (في ١٥٩٨م) والذي كانت والدته أخت الوزير ولم يوافق نائب

الملك في الهند على ذلك حيث نصح فاروق شاه أن يعين ابنه الأكبر فيروز شاه وأن يحاول تزويج ابنه هذا من ابنة الوزير ويبدو أن الملك فاروق شاه قد توفي في ١٥٦١م وتم تعيين مير فيروز شاه مكانه وأنه قد توفي في فبراير ١٦٠١م وعين مكانه أخوه محمد شاه .

ودخل الإنجليز والفرس إلى هرمز في عام ١٦٢٢م وانتهى بذلك عهد البرتغاليين فيها وكان آخر حاكم عليها محمد شاه وأعتقل الملك وعائلته ونقلوا جميعاً إلى فارس وبذلك انتهت مملكة هرمز إلى الأبد .

الهوامش



- ١ - هذه الملحمة كانت في نسخة واحدة مخطوطة فقط وفقدت أثناء الهجوم الإنجليزي الفارسي على قلعة هرمز في ١٦٢٢ م .
- ٢ - الخان - بندر بئر الخان والمياه الضحلة المقصود بها هنا مياه رأس المطاف والتي بنهايتها رأس الخان .
- ٣ - ريشل - المقصود بها بوشهر .
- ٤ - ريخ سيف الدين - المقصود به بندر ريخ وهو الخليج الترابي .
- ٥ - نهر رشتل هو خور سلطاني - أما بندر ريخ فهناك خور أصغر من خور سلطاني .
- ٦ - منطقة خربة ولكنها غير موجودة الآن في خريطة المسارات المائية في منطقة الخليج ويبدو أنها كانت مدينة غمرتها المياه .
- ٧ - يبدو أن هذه المعلومات غير صحيحة وربما نقلت إلى بيدرو تينحسيرا بواسطة أحد البحارة على السفينة أو حتى قبطانها .
- ٨ - هذه جزيرة تسمى الآن المحلة .
- ٩ - يعتقد أنها منطقة قرب البصرة .
- ١٠ - أن بعض سكان البصرة من المسيحيين المقيمين و البعض من الهنود الذين كان عددهم ثلاثة آلاف آنذاك .
- ١١ - إبراهيمي هي منطقة بندر إبراهيم أو خور ميناء شرق هرمز .
- ١٢ - نعتقد أن هذا يعني هجوم المغول على أرض فارس .
- ١٣ - تسمى قيس أو كيش أو قن .
- ١٤ و١٥ - لا نستطيع تعيين موقع دنو ولكن كومزارة هي ميناء كومزار قرب رأس مسندم ولفت ميناء على جزيرة قشم وربما تكون كومزارة تحريف لموقع آخر يسمى ضمير مقابل لفت .
- ١٦ - يكتب السير روبرت شيرلي في أكتوبر ١٦١٤م إلى شركة الهند الشرقية قائلاً "البحرين جزيرة مقابلة لساحل الجزيرة العربية وعلى بعد أربعين فرسخاً من ساحل فارس ومنتوجها الرئيسي

اللؤلؤ والذي يعتبر أحسن لؤلؤ في العالم وقد أخذها ملك فارس من البرتغاليين وترك بها حامية من ٨٠٠ فارس وتحيط بهذه الجزيرة الصخور المرجانية والتي تجعل الملاحة في مياها صعبة جداً .

ويكتب توماس بويس إلى اللورد سالسبري قائلاً (في ١٠ يونيو ١٦٠٩م) "أخذت جزيرة البحرين بواسطة ملك فارس منذ ستة سنوات أي (١٦٠٣م) .

ويؤرخ مؤرخ ثالث ذلك الحدث قائلاً "بعد أن قام وزير البحرين بقتل أحد التجار فيها واستولى على لؤلؤه قام أخ القتل وقتل الوزير منتقماً لمقتل أخيه واستولى على قلعة البحرين وفتحها للفرس وقرر قائد هرمز دي بيدرو كوتينهو (D.Pedru Cotinho) إرسال أسطول تحت قيادة دي فرنسيسكو دي سوتوماير (D.Francisco de Sotomayor) لاستعادة البحرين. وأرسل وزير هرمز (أو رئيس هرمز أو الحاكم) عن طريق البر لنفس الغرض .

فلما بلغ النبا حاكم شيراز وردي خان أرسل جيشاً كبيراً تحت قيادة آدم سلطان ليحاصر ميناء جابرون (بندر عباس) لكي يصرف البرتغال أنظارهم عن البحرين وفعل كاد البرتغال أن يستعيدوا البحرين ولكن نتيجة لتغير قائد هرمز بواسطة نائب الملك في الهند (نتيجة وشاية) وتعيين قائد جديد ديجو منزيس بارتو (Diogo Menzis Barreto) والذي أصيب بالمرض، وكذلك تفشي الحمى في الجنود البرتغاليين المهاجمين وإصرار أهل البحرين في الدفاع عنها كل ذلك أدى إلى فشل مهمة القائد البحري جاسبر دميلو ديسامبايو (Gaspar de Millo de Sampaio) (يبدو أن هذا ثاني قائد ترسله هرمز إلى البحرين) .

ويروي جوفيا (Gouvea) أنه ما إن بلغت أنباء الأسطول البرتغالي المتوجه من الهند إلى البحرين في عام ١٦٠٣م تحت قيادة دي جورج كاستلبرانكو (D.Gorge d Castelbranco) قام وردي خان بإرسال أسطوله لمحاصرة بندر عباس (جابرون) واحتلال مناطق في هرمز تابعة للملكها. ولكن قام الشاه وأمره بالعودة إلى شيراز وإعادة البحرين إلى البرتغاليين ولكن هذا الأمر لم ينفذ .

وفي رسالة مؤرخة ٢٥ فبراير ١٦٠٥م يبدي ملك أسبانيا مخاوفه من احتلال الأتراك للبحرين ويأمر نائب الملك بأن يقوم باسترجاع الجزيرة من الفرس وأن يأخذها بالقوة أو بالرشوة لقائد الحامية حتى يتم تسليم قلعتها إلى البرتغاليين. ويواصل الملك اهتمامه بالجزيرة في رسائل لاحقة لنوابه في الهند وكانت آخر رسالة بهذا الصدد في ٢١ مارس ١٦١٧م ولكن يسقط هرمز في ١٦٢٢م سقطت معها أحلامهم في إسترجاع البحرين .

١٧ - ولكن يقول باروس (Barros) أن شيلاو تعني فقدان الصينية أما يول وهويسون فيعتقدان أن شيلاو تعني سلابام بلغة التاميل ومعناها الغوص. أما السنهاليون فيقولون بندر هالفاتا (بندر صلوات لابن بطوطة). أما التاميل فيقولون سالاابام وتعني مصائد اللؤلؤ .